قصص الحياة

تأليف

عبد الحميد قناوي

مؤسس معهد العلوم المغنطيسية والتنويم
وواضع رسائل علم أسرار العدد . ومؤلف
كتابي معلم التنويم المغنطيسي . ومعرفة
الاخلاق والحظ من الاسماء

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي وبه استعين

الإهداء

عزيزي عبد الحليم

بعد حمد الله .

لقد جمعتنا أيام الصبا حيناً كنا نستذكر فيه الآداب والعلوم حتى جاء عهد الشباب ففرقنا ، وقد دأب كل منا على ما قسمه الله له في معترك هذه الحياة . فصرنا نتخطى أدوار هذا العهد عاما بعد عام ، والقلوب عند بعضها متحدة والارواح في مناجاتها مؤتلفه ، فلما أوشكت أيامه أن تنقضي أراد الله أن نلتقي كما كنا على خير ما يكون ، وإذا بك تمدّ يدك لترفع من شأن الادب في شخصي الضعيف ، واذا بي ، كمهدي بك ، لا أستكثر هذا على همتك وأخوتك

أما وقد وليتني هذه الثقة ، فأرجو أن أكون عند حسن الظن منك أخا في الله يرجو لك التوفيق ، ويسأله ان يديم هذا الأخاء

ولما كانت هذه الخطوة الجريئة منك ، تستحق الأشادة مني بلطيب الذكر ، لم أجد أمامي سوى أن أهدي اليك هذه المجموعة عنوان أخلاص ووفاء

المخلص

عبد الحميد قناو

obeikandl.com

مقدمة

منذ أكثر من ثلاث سنوات تفضلت دار الهلال فعهدت إليّ أن اوافي قراء « الدنيا المصورة » بالقضايا الهامة ذات العظة والعبرة والمتضمنة صورا مختلفة من الوان الحياة المصرية فلبيت الدعوة شاكراً وقمت بما استطعت ، وكنت اتتبع بطبيعة عملي الصحفي سير الحوادث الجنائية والقضايا التي تنشأ عنها . فأنتقي ما أراه صالحا للنشر فأصوغه في قالب بسيط يضم شتات الحادث كما وقع مجرداً عن التنميق ، ولم أكن اذ ذاك مكثرا لكثرة مشاغلي الخاصة والعامة من ناحية ، ولانطباع أغلب القضايا التي تتقدم بها النيابة في هذه الفترة بطوابع قليلة العدد ، ولوقوف الاسباب التي تقوم عليها المنازعات وترتكب من أجلها الجرائم عند بواعث معينة

وفي ختام سنة ١٩٣٠ تفضلت جريدة الاتحاد فعهدت اليّ بمثل هذا العمل فقبلته مرحبا ، ولم اقتصر على القضايا والحوادث الوقتية ، فاتسع المجال أمامي وكتبت بعض الحوادث التي وقفت على اسرارها ولم يصل امرها الى دور القضاء

واخترت لهذه القطع اسم « قصص الحياة » ولم اسمها قصصا لغريب مفاجأتها ، وغامض عقدتها ، وبديع حلها ، وحسن ختامها ، انما كان ذلك لأنها صور حقيقية مختلفة ذات الوان طبيعية لجوانب متعددة من الحياة الاجتماعية المصرية ، وكان تتابع الوقائع فيها يؤلف منها « اقصوصة » خطّها يد القدر على صفحة الزمن ، لاشأن للاختراع او الصناعة فيها

ولما كانت دراستي للعلوم المغناطيسية منذ أكثر من عشرين عاما قد سهلت لى دراسة علم النفس العلمى والعملى ، وعلمى الاخلاق والاجتماع ، وفنون الفراسة فأنى قد استعنت بها كلما رويت هذه الحوادث ، أو سردتها قصصا

غير أنى كنت أترك القارىء يبحث عن الغايات التى من اجلها اخترت الحادث ليكون قصة من قصص الحياة ، الا قليلا منها كنت أرى ضرورة التعليق على تلك الغاية أو التنبيه اليها

فلما طلب الى الكثيرون من أصدقائى أن أجمع هذه القصص فى جلد واحد ولما أراد الله تحقيق هذه الرغبة ، راجعتها ووجدت أن أبرز فيها النقط الاجتماعية والاخلاقية الحساسة وان اعمد الى التحليل فى مواضعه ، وتلوين صورها حسبما تقتضيه الحاجة ، فقمت بجانب منها فى هذه العجالة أعتقد انه دون الكفاية ، لان عمال المطبعة لم يمهلوا قلمى ، وارجو أن تكون المجموعة القادمة اقرب الى الكمال

وهذه المجموعة فى الواقع لم تحو قصصا لعبت فيه يد الفن القصصى ، انما هى قطع من الحياة المصرية على صورتها الطبيعية

١٦ / ٨ / ١٩٣٣ عبد الحميد قناوى

ابن الجزيرة

اهداء القصة

الى أم متساهلة

الى زوج غبي

الى صديق خائن

الى زوجة دنسة

الى رجل وامرأة فى طريق الغواية

الى هؤلاء جميعاً ، فهم شركاء فى هذه الجريمة

لعلهم يكونون فيما بعد عظة وعبرة لكل معتبر

obeikandl.com

مأمون افندى . . . شاب وديع الاخلاق ، هادىء الطباع ، فى الثامنة والعشرين من عمره ، فارقت أمه الحياة ، وهو لايزال فى السابعة ، فاحتضنته خالته بناء على رجاء والده الذى هو فى الوقت نفسه ابن عمها ، فكانت عنايتها بتربيته تفوق عنايتها بتربية ابنتيها « هانم ورشيده »

ومع ان والده انتقل الى جوار ربه قبل ان يبلغ الخامسة عشرة من عمره ، فانه ظل على نهجه المستقيم ، مطيعا لخالته التى لم تدخر وسعا فى اعزازه والعناية به

وكان فرط حبها له ، يدفعها الى الغيرة على مستقبله ، حتى انها كانت تقضى الليل ساهرة بجانبه أثناء مذاكرته ، ولا يغمض جفنها الا اذا تأكدت أنه استغرق فى النوم

ولبثت على هذا الحال ، حتى اجتاز الشاب مرحلة التعليم الثانوى ، والتحق بالمدرسة الحربية ، ونال أجازتها بتفوق عظيم ، وعين ضابطا بالفرقة السادسة من المشاة

وفى هذه الخلال كانت « هانم » ابنة خالته ، قد تزوجت باحد المدرسين ، وانتقلت معه الى مقر عمله بمدينة اسيوط

اما رشيده فانها أتمت علومها المدرسية عقب تخرج ابن خالتها بعامين ، ومن ثم حجزت فى الدار

***

ورأى مأمون ان الفرصة سانحة ، لأظهار مايكنه قلبه لخالته ، من عطف شديد ، وحب أكيد ، فالتمس يد ابنتها «رشيده» فلم تخالفه ، وتم القران ، باحياء ليلة ساهرة

كانت حديث الاهل والاصدقاء

عندئذ أحست « الخالة » ان حظها كمل ، وسعادتها تمت ، وان احلامها التى طالما تمنت على الله بلوغها قد تحققت ،

على انه لم يمض نصف عام على هذا الزواج السعيد ، حتى صدرت الاوامر الى فرقة مأمون افندى بالانتقال الى السودان

فحمل هذا النبأ السيء الى زوجته وخالته فبكيا ماشاء لهما الأسى والحزن ، حتى خفف عنهما ذلك ، بان اقترح ابقاء رشيده بجوار والدتها حتى ينتهى دور فرقته فى السودان ، فيعود اليهما بعد عامين

وبعد ان أعد معدات سفره ، ودّع زوجته وخالته وداعا حارا ، ترك فى نفسيهما أثره العظيم ، وسار على بركة الله ، بعد ان أوصى بهما خيرا ، صديقه الحميم « فريد افندى . . . . »

***

مضى على هذا السفر شهر وثان وثالث ، وفريد افندى هذا يتردد بين الفترة والأخرى على منزل صديقه مأمون افندى للسؤال والاستفسار

غير انه كان فيما بين الزورة والتى تليها ، يشعر بجاذب اقوى ، ودافع اعظم ، يدفعه الى القرب من رشيده هانم ويرى فيها من المحاسن ما لا يراه فى زوجته « عديله هانم » فتودد اليها كما توددت اليه ، ولمعت عيناهما ببريق الحب فلبثا صامتين حتى كهرب الغرام قلبيهما فتناجيا وتشاكيا ، ومن ثم تغلب الهوى عليهما ، فنسيت

رشيده روابط الزوجية ، كما نسى فريد أواصر صداقته بمامون ، وعهود اخلاصه وامانته لزوجته

واستمرا على هذا الحال يختلسان الفرص ، ويعيشان بالشرف ، حتى شعرت رشيده بعد عدة شهور أنها حامل . فمضت بنان الندم ، وأسفت حيث لاينفع الاسف ، فاخبرت بذلك فريداً فارتاع وارتبك ، الا انه عاد فاستدرك الامر وتظاهر ببساطة الخبر ، وطمأن «خليلته» واقترح عليها التعجيل باجهاض نفسها فافهمته أنها حاولت ذلك مرارا فلم تفلح ، وان هذه الفرصة افلتت من يدها

باتا امام باب الفضيحة ، ولم يجدا بدّا من الاحتيال والمداراة للتخلص من هذا العار الابدى ، فاتفقا على ان تتصنع المرض وتقضى اغلب وقتها فى فراشها لتسترجسمها

وفعلا نفذت ذلك غير ان الحيلة لم تنطل على امها التى عرفت السر فطأطأت رأسها خجلا وخزيا ، وحنقت على ابنتها زمنا عادت فى نهايته تشفق عليها ، وتسعى بدورها لستر هذه الجريمة

ولازمها فريد منتظراً انفراج هذه الازمة ، حتى كان اسبوع الوضع نقلها الى أحد المستشفيات حيث وضعت غلاما سمته جدته « عبد الستار » لان الله اجاب دعاءها فستر فضيحة ابنتها

وفرغوا من مشكلة الوضع واستقبلوا مشكلة العناية بالطفل واخفاء امره عن الناس فسلمه فريد الى احدى ارامل الريف بجهة امبابه

***

أحست رشيده عقب مبارحتها المستشفى انها ولدت ولادة جديدة ، فآلت على

نفسها ان تبتعد عن فريد الذى قذف بها فى طريق الغواية ، فكانت تقابله تارة بالفتور واخرى بالجفاء ، ولما لم يرتجع اعتذرت عن مقابلته

غاظ فريد هذا التجنى والصدود ، واعتبر هذه المعاملة اهانة له ، وكيف تعلو عليه وقديما أذلها ، وتبعد عنه ، ومن قبل كانت لعبة يتسلى بها ، بل وكيف تتجاهل وجوده وطالما سعت اليه ، وركعت تحت قدميه

غاظه ذلك فاحتال لاجتذاب قلبها اليه ثانية ، واعادة الامور الى ما كانت عليه فلم يوفق

واخيرا وجد ان تذكيرها بالطفل أحسن وسيلة لاستمالتها فعرض عليها ان تزوره فتمنعت بادئ الامر ، لكن عاطفة الامومة تغلبت ، فلبت دعواه وذهبت معه حيث حظيت بلقاء ولدها ، وثمرة جرمها ، فاحتضنته وقبلته ولبثت تطيل النظر اليه ، حتى أزف وقت الرحيل ، فسلمته الى المربية بعد ان نقدتها بعض الدراهم وأوصتها به خيرا

***

عادت الى منزلها وقد ارتسمت فى مخيلتها صورة الطفل فصارت تستذكر محاسنه وباتت شغوفة برؤيته وحاولت أن تتكرر الزيارة ، الا ان فريداً ظلّ يتنصل ويلتمس الاعذار ، فذهبت بمفردها حيث لقيت ولدها أول مرة فعلمت ان هذا المنزل فندق ، فأدركت مكر خليلها الذى يشترط عودتها اليه ثمنا لرؤية ولدها

رفضت المسكينة شروطه بكل حزم ، فانقطع عن الزيارة على مضض ، حتى كانت ذات ليلة ، وقد بلغ اليأس منها مبلغه ، واضطربت اعصابها ، رأت فى نومها ان

زوجها مأمون ذبح الطفل بين يديها ولطخ وجهها بدمائه ثم القاه فى حجرها ، فقامت مذعورة من هذا الحلم الفظيع ، ولعبت الهواجس برأسها ، ودخل فى روعها ان فريداً لابدّ مدبر لها مكيدة عند زوجها ، فوسوس لها الشيطان ان تقلع عن صدّه ، وتستسلم لوعده

فكتبت اليه ، فى لين ورفق ، ترجو حضوره ، وقد قبلت شروطه ، حبا فى رؤية طفلها الذى كان « هو » العلة فى وجوده ، والسبب فى شقائها بولادته

فرح الذئب بوصوله الى غايته ، واسرع الى رشيده التى استقبلته بشئ من الجفاء زال بعد برهة ، حيث عادا سيرتهما الاولى ، وعلى الاثر قاما لرؤية الولد فلما قابلت المربية أسرّت اليها بعنوانها وطلبت ان تزورها ومعها الطفل

وظلت المربية تتردد على منزل رشيده بين اسبوع وآخر حتى اقترب موعد رجوع مأمون من سفره فأفهمتها بعدم الحضور وانها ستزورها في امبابه بين حين وآخر

***

ولاحظت عديله هانم ، منذ سفر الضابط مامون ، وتردد زوجها فريد على منزل رشيده انه غريب في بيته ، بعيد عن أهله ، وأدركت من طرف خفى ، شيئا من الامر ، الا أنها لم تجد مفرا من الصبر ، فكانت تتحمل اساءاته المتعدده ، وكلما همت بالثورة عليه ، التمست له العذر ، اذ لولا تسامح تلك المرأة معه ، لما انصرف عن حب زوجته واولاده

وخدمتها الصدفة فعثرت على الخطاب الذى وصله من رشيدة فقرأته ، ووقفت

منه على مدى العلاقة القائمة بينهما فأكلتها الغيرة ودفعتها الى تفتيش اوراق زوجها فعثرت على صورة لها كما عثرت على بعض اوراق اخرى تشير الى هذه الروابط الدنسة

ورأت من الحكمة ان ترقب زوجها عن كثب ، لكيلا يأخذ حيطته ، فعلمت انه يذهب بخليلته الى أحد المنازل الخصوصية حيث يقضيان الوقت فى ملذاتهما الفاسدة

عند هذا الحدّ لم تستطع عديلة صبرا على سير زوجها فنبهته الى ما هو فيه ، فتجاهل قصدها ، فكشفت له عن جانب مما تعلم ، فأظهر الاستياء ، واستنكر هذا الافتراء ، فطاش صوابها واوقفته على فضيحته ، فأصرّ على سابق قوله وهددها بالطلاق ان هى فاتحته فى مثل هذا الهذيان مرة اخرى

هزّت كلمة الطلاق اعصابها ، بل قطعت نياط قلبها . والطلاق هو السلاح الوحيد الذى يقطع حبل سعادة المرأة وهناءتها

واسترسلت فى البكاء حتى اغمى عليها ولما أفاقت كانت الشمس قد غابت ، وكان زوجها قد خرج منذ مدة فاستعرضت ماحدث وقلبت المسألة على وجوهها فعرفت حقيقة مركزها

تملكتها فى الحال ثورة الغضب ، وفكرت فى الانتقام من زوجها ، فمرّت بمخيلتها افكار سوداء ، وحارت فى أى انواع الانتقام تختار

هل تخونه كما خانها ؟ ودقة بدقة ، والجزاء من جنس العمل

ام تدس له السم ؟ فينتهى وينتهى معه كل أمل لرشيدة

ام تحصر الانتقام فى نفسها فتنتحر وتنتهى بذلك آلامها التى لاحدّ لها ، ويكون الفراق بيدها لا بكلمة من زوجها

لاهذا ولا ذاك ، فالمرأة التى داست القوانين المقدسة ، فخانت زوجها من ناحية واعتدت على حقوق ابنة جنسها من ناحية أخرى ، وفتحت صدراً رحبا لرجل غير بعلها ، أحق بهذا الانتقام وأولى

وظنت ان الفضيحة أجدى واقطع وسائل الانتقام من المرأة المستهترة المتسترة ، وان هدم كيانها العائلى هو القصاص العادل ، وان العمل على التفرقة بينها وبين زوجها ابلغ ردّ للوسيلة التى اتبعتها فى اقتناص فريد من حظيرته

فعولت على ارسال خطاب للضابط مأمون تقص عليه قصة زوجته تشفعه بالادلة التى لديها ،

وهنا تصورت مصير هذا الزوج المغشوش ، فكادت تشفق عليه ، وتعدل عن رأيها معه ، وان تضحى بنفسها وحدها على مذبح هذه المأساة

ولكن « الحب » حب الحياة ، حب الانتقام ، حب الانتصار ، عاد بها الى صوابها ، فرجعت باللوم على ذلك الزوج الجاهل ، الذى اتخذ من ظاهر الاشياء دليلا على باطنها ، فظن ان الاخلاص سلعة تشترى ، والوفاء رداء يخلعه على من يشاء ، وفاته ان الشر كمين فى النفس ، يخفيه الضعف او يستره الرياء ، وأن موازين الفضائل والاخلاق ، ساء سبيلها ، وفسد تقديرها ، فالمتباكى صديق مخلص والمرائى وفىّ أمين .

اذن ما ذنب رشيده وقد كانت فى حصن حصين بعيدة عن الشر ، الم يختر بنفسه الذئب ليحرس الحمل . الم يضع الكبريت بجانب الغاز

بل ما ذنب فريد وقد قدّم له صديقه مائدة طعامها شهىّ ، ثم أمره بالمحافظة عليها

وتركه بجوارها يقنع برائحتها الزكية ، ألا يسيل لعابه ، الا يرفع الاغطية ليرى مافى صحافها ، الا يمد اصبعه فقط فيذوق هذا الطعام . اليس من يتذوق تفاح حديقته ، دائم التشوق لان يتذوق مافى حدائق الاخرين ليعرف الفرق على الاقل ؟

ألم يكن فريد من ابناء آدم ؟ الم يأكل جدّه الاول من شجرة الخلد ؟ الم ينس فى سبيل غايته كل نصح ؟ اليس كل ممنوع مرغوبا . لاشك ان الزوج كان العلة الاولى فى هذه الخطيئة فيجب ان ينال قسطه من الألم ، ويجب ان يعرف خطأه ، فاستقر رأيها على مكاتبته . وقبل التنفيذ وازنت انكار زوجها واصراره بما لديها من ادلة فاطمأنت لتقديرها ، وأيقنت انها براهين قطعية ، اذ لو قيل ان الخطاب مدموس على رشيدة ، فهل تكون صورتها معا كذلك ؟

***

وارسلت الى مأمون افندى تشرح له العلاقة القائمة بين زوجته وصديقه فريد افندى ، معتذرة اليه عن هذا الخبر السيء ، وأنها مدفوعة اليه بعامل الغيرة ، ورجته فى ختام الخطاب ان يكتم الأمر ، وان يرقب الخليلين حتى يرى بعينه فجورهما ويفضح سرهما

كان هذا الخطاب صدمة كبرى لمأمون افندى الذى رجع من السودان منذ شهرين فرحا مسروراً بعودته الى زوجته وخالته ، فخامره الشك فى مرسلة هذا الخطاب ولم يتصور سوءاً

ذلك لأن الحفاوة التى تستقبله بها زوجته كل يوم ، والابتهاج الذى يبدو

عليها عند رؤيته ، والدعوات الصالحات التي تنثرها خالته عليه وعلى زوجته كل لحظه ، والخير العظيم الذى يغمرها به والعطف الذى يشمل به والدتها ، لا ينزع بها الى هذا المسلك الدنس

ولم يتصور ان صديقا وفيا مخلصا يبيع الاخلاص على مذبح الشهوات ، وكيف يسوغ لفريد وهو رب عائلة واولاد ، أن يهجر الحلال ليغتنم الفرصة من الحرام ، ألا يخشى ان تسلك زوجته سبيله

قضى ليله فى التفكير والتدبير وهو بين مكذّب ومصدّق ، ثم استقر به الرأى على مراقبة زوجته فكلف أحد سعاته بالمكث على مقربة من المنزل وامره بتتبع خطواتها أينما سارت وان يخبره بحركاتها تليفونيا ساعة بعد ساعة

مضى على هذا التدبير اسبوعان دون ان تظهر نتيجة لهذه الرقابة فاطمأن قلبه نوعا وحاول طرد الهواجس الكثيرة التى ملأت رأسه منذ ورود هذا الخطاب المشئوم

كان يخشى ان تنقض على رأسه الصاعقة فينهار صرح سعادته ، وقضى تلك الايام يوجس خيفة كلما دق تليفون المكتب

وكان لا يحسن تقدير الزمن خلال هذين الأسبوعين ، فتارة يطول به الليل ويتولاه الأرق . وتارة تمرّ الأيام سراعا دون ان يشعر بشىء

ووقع فى ذهول شديد حتى انه كان لا يدرك كثيرا مما يدور حوله ولا يرى ما يقع تحت عينيه

ذلك لانه كان من ناحية اخرى مشتعل القلب ، مشتغل الفكر ، يقلب المصيبة على وجوهها فلا يرى الا ظلمات فوقها ظلمات

ولعب الشك برأسه منذ لاحظ فريدا يتنحل الأعذار عن مقابلته ويحاول الفرار من وجهه وقد كان من قبل لا يطيق صبراً على فراقه ، فراعه الأمر ، ولم ير تعليلا له سوى شعور المجرم بجرمه ، واشفاقه من افتضاح سره

ورأى ان المصيبة التى تحل به - فيما لو صح ذلك - لا تعدلها مصيبة ، اذ الشركاء فى الجريمة أعز الناس اليه

وراح يسائل نفسه هل هذا حظ الصديق من الصديق ؟ وهل هذا حدّ الوفاء بين الناس ، وهل يجب أن يكون الانسان لئيما خبيثا ليتقى مكر الخبثاء وشر اللؤماء

وما ذنب امرىء كريم تجمعت لديه القرائن على وفاء صديق له فولاه ثقته واصطفاه دون الاخرين فانقلب فى غيبته تعلبا ماكرا ، وذئبا غادرا

وماذا يصنع الانسان اكثر من هذا ، ايتخذ من الملائكة أصدقاء ، وأنّى له ذلك ، أم يبتعد عن الناس وأنى له ذلك

اذن ما هذا الذى يسمونه وفاء واخلاصا ؟ وما هى الامانة ؟ بل ماهى الفضائل ومكارم الاخلاق

ماقيمة كل هذه القوانين اذا كان الناس لا يستطيعون تنفيذها ، هل هى لا تتفق وطبائعهم ، أم كانت فرضا على خلق آخرين فجاءت هنا خطأ

وتصوّر ابتسامة زوجته ، فأيقن انها ابتسامة صفراء ، ابتسامة مكر ورياء

وتصورها ايضا تطوق عنقه بذراعيها فأيقن ان هذا طوق الخيانة والنفاق

وهكذا كانت العواطف تقتتل فى نفسه فتارة تصرعه وتارة يصرعها

واخيرا ذهب بعقله الى اسوأ الفروض فساءل نفسه ، ماذا يكون المصير اذا

ضبطتها متلبسين بالجريمة ؟ هل أقتلهما ؟ ام اتركهما وشأنهما ؟

لاشك أنى لا الطخ سيفى ولا ألوث رصاص مسدسى بدم دنس

وأفاق من غشيته معولا على اكتشاف حقيقة الفريقين ، فلجأ الى الحيلة وأوهم رشيده انه مسافر لمأمورية خاصة تستغرق ثلاثة ايام

نجحت حيلته ، اذ شاهد الرقيب فى اليوم الثانى زوجة الضابط خارجة من المنزل فظل سائرا خلفها حتى وصلت البيت المعهود ، فأخبر سيده وبعد برهة من وصولها دخل فريد افندى الدار ، وبعد دقائق أقبل الضابط فأرشده الساعى الى مكمنهما

مشى الضابط بخطى مرتجفة نحو الباب ، واقتحم الدار ، وسأل الخادمة عن غرفة فريد فأشارت اليها فركل الباب فانفتح عن منظر الخزى والعار

رأى ويالهول مارأى ، رأى الخائنان متعانقين ، فلما رأياه أغمى على الزوجة وهرب الصديق من النافذة

اكتفى الزوج من الفضيحة بهذه النتيجة ، وعاد الى منزله حاسر الرأس ، طائر اللب ، مفكرا فى حالته حينا ، وفى شرفه المهان حينا آخر

***

بعد برهة وجيزة ، عادت رشيده تجر اذيال الخزى والعار فقدرقع ما كانت تخشاه ودخلت غرفتها واغلقت بابها ثم غمرت ملابسها بالغاز واشعلت فيها النار فلما اتصل اللهب بجسمها صارت تصيح وتستغيث دون ان تتمكن أمها من انقاذها ، او يلين قلب زوجها فيمد يده اليها ، فماتت وقد دفعت ثمن خيانتها وغسلت عارها بحياتها

obeikandl.com

انتهى الحادث بدفن رشيده فنشرت الصحف انها انتحرت تخلصا من مرض عضال يئست من شفائه

هز مأمون رأسه عند ما اطلع على ما نشر ، وقال . حقا ان الخيانة مرض عضال لا دواء له ، ولا برء منه

وبعد يومين من تاريخ الانتحار ، او تاريخ كشف الفضيحة ، او تاريخ هذه المأساة ، كان الضابط غارقا فى تأملاته يستعرض ادوار مصيبته ، ويبحث عمن تقع عليه تبعة هذا الجرم . هل الزوجة وقد تسامحت ، ام الصديق وقد احتال حتى خان ، أم هو وقد خدعته الظواهر ، ام خالته وكان فى وسعها منع هذا الشر ؟

وفيما هو فى لجج هذه التأملات ، يستلهم الحكمة ، ويستوحى الفلسفة ، دون ان يصل الى رأى قاطع ، قطع طرق الباب سلسلة افكاره ، فانتبه ، فاذا حوار بين الخادم وأحدى النساء ، فاقترب فاذا بها المربية تحمل ابن الجريمة بين ذراعيها ، فأمرها ان تذهب به الى ابيه ، وارشدها الى منزل فريد

* * *

وهناك فى منزل فريد ، حيث كان فى فراشه يعانى ألم الصدمة التى أصابته من أثر سقوطه حينما قفز من النافذة ، فتحت زوجته باب غرفته وجذبت القروية نحو سريره

فما أن رآها حتى استوى قائما وقد نسى ما به من ألم ، وفتح فاه ليصرخ فجف ريقه ، وبح صوته ، ولم يلبث ان سقط فوق سريره مذهولا ، فأسندته زوجته ، ونادت فى الحال ولديها ، فأحاطا بوالدهما

وجمت المربية مما رأت ، وانعقد لسانها عن الكلام ، غير ان يديها امتدتا نحوه بالغلام ، فأشاح بوجهه عنه ، وقال وقد أخفى عينيه بيديه ، لا اعرفه ، اذهبي به الى أهله ، اقذفيه فى اليم ، لا اعرفه ، اتركيه فى الطريق

أهاجت هذه العبارات القاسية نفس القروية ، فقالت لو كانت أمه على قيد الحياة لما لقى هوانا ، حقا لا امان للرجال ، الم يكفك ان امه ذهبت ضحيتك حتى تريد ان يلحق بها . أقدّ قلبك من حديد حتى تنكر ولدك وهو قاب قوسين أو ادنى منك

لم تعجب هذه الثرثرة عديله هانم ، فدفعتها بقوة خارج الدار ، وحذرتها ان هى عادت مرة اخرى سوف تتهمها حتما بالسرقة ؟

ورجعت الى غرفة زوجها بعد ان شيعت المرأة باللعنات ، واقبلت على ولديها تقبلهما امام والدهما الذى كان زائغ البصر ، واجف القلب

عادت المربية به الى بيتها ، وظلت ترعاه حتى نفدت النقود التى أخذتها من رشيدة ، وعندئذ حارت فى أمرها .

وأخيراً صممت على التخلص منه . وقد التمست لنفسها عذراً من فقرها ، فحملته فى سكون الليل ، ووصلت به مكانا قصيا فى حى العباسية ، وشددت عزيمتها وتركته للمقادير ، وهى تقول فى نفسها لست اغنى من ابيه ، ولا أحق بالحنان منه عليه

وفى صبيحة اليوم الثانى نشرت الجرائد مرة اخرى ، ان البوليس عثر على طفل نقيط على قيد الحياة ، لم يكن سوى ابن الطيش والجريمة

غلطة الاباء

الى ابن يبحث عن عطف أبويه

الى ابوين ملأت القسوة قلبهما

الى الذين ينحنى الناس أمامهم احتراما ، فاذا خلوا الى ضمائرهم ، طأطأوا رءوسهم خجلا

الى الذين اقترفوا فى ساعة لهو ، جريمة لاتغتفر ، مدى الدهر

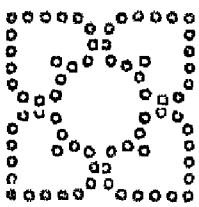

obeikandl.com

— ألم ترسل اليه خطابا ؟

— أرسلت . وسيجيء مساء اليوم

— لا أكاد أصدق

— وعدنى بذلك ، وحدّد الساعة التاسعة لهذه الزيارة

— اذن لاتتساهل معه كعادتك ، وشدّد عليه فى طلب النقود

— هذا جميل

— ان لم تكن فى حاجة اليها فاتركها لى أو لأحسان

— سأحاول

— يخيل الىّ أنك ستلزم الصمت كل مرة ، فأرجو أن تتركنى أحدثه حتى أحمله على ما أريد

— إن جاء

— ولكنك قاطعتنى فى المرات السابقة ، وفوّتّ بذلك فرصاً عديدة

— سأنسحب عند حضوره

— لايسرنى هذا ، فانسحابك يضيع الفرصة تماما

— وكيف ذلك ؟

— لانه كلما تذكر صنيعك معه ، خجل من نفسه ، وقام ولو ببعض ما يجب عليه ، فاذا ما انسحبت كان هذا أدعى الى جحوده

— لم يعد يتذكر شيئا ، والانسان سريع النسيان ، ومن كان مثله فى مثل

هـذا المقام ، ينسى فى المساء ، ما يفعله فى الصباح

— اذن لادا عى لمطالبته

— لو لم تتسلى بأن المال لك أو لأحسان ، لمنعتك عن مطالبته منعاً باتاً لأنى لم أضق ذرعا بعد بتكاليفكما فى الحياة ، وفوق هذا لا أحب أن يستغل صديق لى ، على حساب صنيع بسيط أسديته اليه

— صديق ! ليست هذه صفات الاصدقاء ، لقد انقذت شرفه ، وآويت اليك امرأة سلب عفافها ، وظللت بلقبك ابنة ليست من صلبك ، كان هو علة وجودها ، ومع ذلك لم يقم بما فرضه على نفسه حين مددت يدك لأنقاذه ولأنقاذك ايضا

— هذا صحيح ، ولكن لاتنس ان صفقتة وحده كانت الرابحة

— كلا الصفقتين على حد سواء ، ولكن التى ظلمت هى «احسان» فقد حرمت بهذا الصنيع من لقب والدها العظيم ، وثروته التى تتضخم عاما بعد عام لعلها تتساوى معنا ايضا فى الدرجة ، فلولم تنسب اليك لكانت فى عداد الاموات منذ ولادتها ، او على أكثر تقدير طفلة مجهولة النسب والحسب نزيلة أحد الملاجئ ، فأذا ماترعرعت لن يفارقها هذا العار ، اما الآن فهى منسوبة الى مدرس خدم الادب والعلم

— لسنا فى صدد الموازنات ، وكل ما أرجوه منك ، ان لاتتشدد ى معه فى الطلب ، فقد يظن انى دفعتك الى ذلك ، وفى هذا جرح لكرامتى

***

دار هذا الحديث بين المدرس وزوجته فانتقل على الأثر الى غرفة مكتبه وأخذ يقلب صفحات كتاب مخطوط ، بينما شرعت الزوجة ترتب غرفة الجلوس

وكانت خلال ذلك تذهب تارة الى سرير ابنتها أحسان وقد استغرقت فى النوم ، وطوراً حيث جلس زوجها فتجده ما زال عاكفا على المطالعة ، وظلت فى غدوها ورواحها تنظر الى عقارب الساعة وقد بدت أمامها كأنها لاتتحرك واستبطأت الوقت ولم يكن بينها وبين الموعد منذ دار الحديث غير ساعة واحدة

فلما بلغت التاسعة الا ربعا لفتت نظر زوجها الى أن الموعد أوشك أن يحين . فاكتفى بأن ألقى نظرة سريعة على الساعة ولم يتحرك فتململت وحاولت الكلام فخدجها بنظرة قاسية لم يفتها قصده منها وتركها تتمتم بعض عبارات لم تصل الى سمعه لاشتغاله بما بين يديه ،

وتحولت الى النافذة تتصفح وجوه المارة وتتطلع الى من فى السيارات ، فلما طرقت اذنيها دقات الساعة دون أن يحضر ارتبكت ثم رجعت القهقرى وجلست على مقعد بجوار النافذة منقبضة النفس ضيقة الصدر ، واستسلمت لأفكارها هنيهة استعرضت فيها ما كانت عليه ، وما آلت اليه ، وكيف تهدمت أحلامها

وانتبهت على وقع أقدام زوجها قادماً نحوها وقد لحظ ما تقاسيه من ألم التفكير فحاول ادخال السكينة عليها على غير جدوى ، ولكنها تظاهرت بعدم الاكتراث وخاطبته بصوت خافت . لعلك لم تكتب اليه

فأجابها — الا تصدقينى

فردت عليه قائلة — علامة ذلك أنه لم يحضر

— لقد خاطبنى بنفسه تليفونيا ووعدنى بالحضور

— قلت لك دعني أذهب اليه وأنا أعرف كيف أرغمه على القيام بما أريد فمانعت وعارضت

— فى الواقع كان قبولى مكاتبته أتقاء لشر ذهابك اليه ، كما ان وعده بالحضور يرجع الى اتقائه نفس هذا الشر ، فهوّنى عليك

— لاتغضب علىّ وقد أرهقتك كثيراً ، ولكنك لو علمت أن المرأة ضعيفة مهما اشتدّ ساعدها لأخذتك الشفقة عليها ، وعفوت عن زلاتها

— أظن أنه لاحاجة بك الى هذا الكلام وقد حملتك مراراً على الاقلاع عنه ، وأن قبولى الزواج منك دليل على رضائى عنك ، وأن سماحى لك بمقابلته دليل آخر على تقديسى لمصلحتك ومصلحة ابنتك .

— أن شكرى لك عظيم ، يمده تماما حقدى عليه

— لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة ، فأن كان قد أساء اليك ، بما فعل معك ، فقد أسأت أنت الى نفسك ، حيث أستسلمت له . ولو لم تلينى لجانبه ، لما ملك الغاية منك . وان كان عليه بعض اللوم ، فعليك كل الجرم

— لعلك أدرى الناس بعوامل النفس وانفعالاتها بحكم وظيفتك ، فما دامت العقول تتفاوت فلا ذنب للضعيف اذا تسلط عليه القوى . وفى الواقع لافرق بين شخص وضع تحت التخدير ، وآخر وقع تحت التأثير ، واذن لا لوم على امرأة ضعيفة أحاطت بها ظروف الاغراء ، وعوامل الاستهواء ، فملكت عليها حواسها فراحت ضحية ذلك

وما قولك فى رجل وليته ثقتك ، وسلمته أعز شىء لديك ، وأطمأنت اليه نفسك وفتح لك باباً من ابواب الجنة ، فأذا وضع يده على هذا الكنز ، أخلف وعده ، ونكث عهده ، ثم انكر ما أخذ ، ونفض يده مما اقترف ، وألقى بالوائق به فى الحضيض ،

فاذا النعيم جحيما ، وأذا النور ظلاما : وأذا الرحمة شقاء ، وهكذا كان حاله معى ، وهو حال الرجل الغادر مع المرأة المخلصة

— لا أزال ألومك على تفريطك خصوصاً وأنت تعلمين الفارق العظيم بينك وبينه ، ألم تدركى انك خادمة وأنه سيدك

— اعلم ذلك علم اليقين ، وان هذا الفارق الذى تتهمنى من أجله ، كان هو اكبر عوامل الاغراء ، وماذا تبتغى أمرأة وضيعة ، من الحظ ، أعظم من أن يعطف عليها رجل أعلى منها مقاما ، وأعز جاهاً ، وأكثر مالا

ولم لاتنخدع فتاة لم تختبر بعد معترك الحياة على حساب هذا الفارق أذا رأت عظيما يترامى تحت قدميها ينشد عطفها ، ويخطب ودّها

ثم هو فوق ذلك رفع بيده حجاب التكليف ، ومزّق ستار الفوارق . فقل أن شئت انى ارتفعت الى مستواه ، أو أنه هبط الى مستواى

وأين كانت تلك الفوارق ، حينما امتدت اليد العليا ، لتصافح اليد السفلى ؟ وايان ذهبت تلك الاوضاع ، حينما طبعت شفاه الرجل العظيم ، قبلة الرضا والخضوع ، على صفحة الخد الوضيع

وأينا كان وقت ذلك أسمى من أخيه ؟ الطالب وهو عبد حاجته ، أم المطلوب وهو سيد ساعته ، السيد وهو خادع ، ام الخادم وهو مخدوع ؟

أفلا تكون الفوارق عند هذا أمرا نسبيا يرجع الى التقدير

أو لم نلتق معاً فى نقطة واحدة ، ونهبط معاً الى مستوى واحد ، وقد تساوينا فى الفكر ، واشتركنا فى العمل ، واتحدنا فى الغاية

— هذه فلسفة لابأس بها ، فهل كنت تقصدين الارتفاع الى مستواه ؟

— ولم لا

— وكيف تبررين عملك هذا وهو متزوج ؟

— كنت اخدم زوجه ، وهى من بيت رفيع ، وعلى جانب عظيم من الجمال ، ومركزها يتساوى مع مركزه ، ولكنه لم يحفل بالمركز أو الجاه فبحث عن سعادته ، هنا وهناك ، فلما شعرت انه يجدها بين يدى خادمته ، لم أضن عليه بها . ولكنى لم أسلمه زمامى حتى أعطى على نفسه العهود والمواثيق

ولم لاتكون الخادمة سيدة ؟ مادامت تستطيع أن تملأ هذا الفراغ عن جدارة ، وتحل من قلب الرجل محل الحب والاكبار ، ومادامت تحوطه بالاخلاص والسعادة . وماذا يبغى الرجل ، عظيما كان ام حقيراً ، من سيدة رفيعة الحسب والنسب ، لايجد فى قربها راحة ، ولا يشعر نحوها بميل ، ولا تستطيع من جانبها أن تحمله على حبها أو أن تكسب رضاءه عنها ، ألا يكون البعد عنها غنيمة ، والفكاك من أسر القيود التى ربطته بها ربحا جسيما ؟

— فى اعتقادى ، أن عمله كان عبثا ولهواً . فكنت الكرة ، وكان الصولجان . وكنت الريشة ، وكان الريح . بل كنت السفينة ، وكان التيار

— كان عند مواثيقه حتى اللحظة الاخيرة ، وكان السفينة ، وكنت الربان . وطابت الريح ، وسرنا آمنين ، حتى اقتربنا من الشاطىء ، فلما جنّ الظلام ، صدمتها صخرة التقاليد ، فتحطمت الآمال ، وقذفتنا الأمواج نحو الشاطىء ، فخرجنا تظللنا شجرة العار ، فسلكنا طريق التكتم ، ولولا هذا الجبن ، الذى يسمونه التقاليد ، لكنت زوجته ، وكانت احسان ابنته

* * *

هنا مرت عقارب الساعة بسرعة ، ودقت النصف بعد التاسعة ، فانتبها معا ، وقال المدرس ، يظهر انه لن يأتى الليلة .

وقبل أن يتلقى جوابا سمعت الزوجة وقع اقدام خفيفة وقالت ، اظن أنه حضر وتأهبت للقيام ، وكان ما حسبت ، فقد دق الطارق الباب مرتين ففتحت له ، وكان استقبال حافلا بالحفاوة والاكبار ، ولم يستقر القادم فى مكانه حتى دار بين الثلاثة الحديث الآتى

الزوجة — أهنيك ياباشا بالرتبة

الباشا — اشكرك

الزوجة — أتمنى أن يتوالى رقيك

الباشا — أشكرك . ومع ذلك فأن كثيراً من الالقاب تضايق أصحابها

المدرس — وكيف ؟

الباشا — اعمال كثيرة . رسميات أكثر . مضايقات مستمرة . قيود دائمة

المدرس — ولكن الباشا جدير بالرتبة كفء على تحمل أعبائها . وأنى موقن أنها سعت اليكم مختارة

الباشا — أشكرك ياأخى ، ولو أنها جاءت متأخرة إلا أنى لم أسع اليها أتقاء مايخوطها من قيود واعتبارات

المدرس — ولكنها ضرورية لمركزك ، ودليل على سموّ مكانتك

الباشا — يمكن القول أنها مصطلحات رسمية على مقادير أصحابها . ومع هذا فهى ليست دليلا فى كثير من الظروف على الكفاية ، فبين المجردين منها أفراد يمتازون عمن تربعوا فى دست عظمتها

المدرس — أن هذا زهد الواثق من نفسه مجردة عن كل لقب

الزوجة — أن إحسان نائمة فهل يود الباشا رؤيتها فأوقظها

الباشا — بالله لاتزعجيها . وما دامت متمتعة بالصحة فهذا عين المراد

المدرس — الحمد لله

الزوجة — بأنفاسكم

وغابت لحظة عادت بعدها تحمل أقداح الشاى وأطباق الكعك والزبد

الباشا — لقد شربت دواء قبل حضورى

الزوجة — أنه من الصنف الذى تحبه

المدرس — لا أظن أنه يعطل سير الدواء ، وأمسك قدحاً قدّمه للباشا فلم يرفضه

وبعد تناول الشاى ، أخرج الباشا محفظة نقوده ، وأخذ منها عشرين جنيها قدمها للمدرس فرفضها ، وأشار الى زوجته ، التى نظرت الى النقود بعينين غائرتين ، ولم تمد يدها لأخذها

المدرس — هاهو الباشا ، وهاهى النقود ، فلماذا تمتنعين عن أخذها ؟ ولماذا طلبت الىّ أن أكاتبه ؟

الزوجة — لست فى حاجة الى نقود الباشا ، وأنت بحق تقدم لى كل ما أشتهى ، وتقوم بواجب الزوجية خير قيام ، ولكنى قصدت أن أتفاهم نهائيا مع الباشا فى أمر أبنته أحسان وقد باتت فى العاشرة من عمرها وعما قريب تصبح فتاة دائمة المطالب

الباشا — اليست هذه النقود لها ؟

الزوجة — ليست إحسان فى حاجة الى مثل هذه النقود ، فهى فى بيت الرجل الذى

ظللها باسمه، مصباحه الوهاج ، يقدم لها عينيه أن طلبتها ، ولا تعرف عنك أكثر من أنك صديق والدها ، ولم أكلف زوجي بالكتابة اليك لتمد يدك بهذا المبلغ الضئيل

الباشا — لم اقصر نحوها طول هذه السنوات فماذا تريدين

الزوجة — أن تتنازل لها عن حصة مما تملك لتستغل ريعها ، وتحفظ بها مستقبلها

الباشا — هذا طلب غريب

الزوجة — يحق لك الآن أن تقول هذا وأنت فى حل من كل قيد

الباشا — ومن الذى يرغمنى عليه ، ولو كنت فى قيد من كل نوع . ألا يملك الوالد حق حرمان من يشاء من أبنائه ؟ لم هذا الطمع ، وفى كل حين أجود بما أستطيع

الزوجه — أين وعودك ياباشا ؟ هل أختفت بين طيات الرتبة الجديدة

الباشا — كفى لقد أسأت إلى نفسك فأحسنت اليك ، فرطت فى عرضك فسترت عليك ، واتخذت من صديقى هذا زوجا لك ونعم الزوج ، وشتان بينك وبينه

المدرس — لاداعى لكل هذا

الزوجة — من فضلك دعنى أفهمه أنى لا أتكلم عن نفسى ، وأنا أبحث عن مستقبل احسان

الباشا — لا أستطيع غير هذا وسأوالى الصرف عليها حتى أموت ، وافهمى أن الصلة بشأنها قائمة بينى وبين صديقى وحده ، ثم وضع النقود على المنضدة وهمّ بالأنصراف

المدرس — لولا خجلى منك ، لما أخذت هذه النقود ، فالحمد لله على واسع فضله

الباشا — أشكرك ، وأرجو أن يدوم بيننا حسن التفاهم

الزوجة — لن أرجع عن عزمي حتى أموت في طلب حصة من مالك لأحسان

الباشا — هيهات . وانصرف بعد أن صافح صديقه وخرج يتمتم بعض كلمات أضاعها اجهاش زوجته في البكاء

***

وضع المدرس النقود في حجر زوجته وانصرف الى غرفته وحاول الرجوع الى القراءة عبثا فاتكأ على مقعد مجاور لمكتبه وأسند رأسه على حافته واغمض جفنيه واستسلم للتفكير

ولم يطل بكاء الزوجة فاستوت قائمة ، ومرت بطرفي خنصريها فوق مآقيها تمسح ما يجول فيها من دمع ، وانحنت تجمع الاوراق المالية وقد انتثرت تحت قدميها ثم اتجهت نحو المكتب فلما رأت زوجها ظنته في سنة من النوم فرجعت الى فراشها وحاولت النوم فلم يبسط أجنحته عليها ، فتقلبت على شوك السهاد ، تستعرض ما كان من جحود الباشا وجحود المدرس ، وبعد التفكير ابتسمت ابتسامة الفوز والارتياح كأنما اهتدت الى تدبير خطير

وهنا لعب الكرى بجفنيها فراحت في سبات عميق

استيقظ المدرس عند شروق الشمس فاستيقظت هي أيضا على صوت حركته فلما تقابل الوجهان قرأ في عينيها علائم التغاضي فلزم الصمت وجهز نفسه للخروج ثم أيقظ أحسان وداعبها قليلا وانصرف وقد تهيأت للذهاب الى مدرستها

ولما عاد من عمله وجد زوجته غيرت خطتها فاستقبلته باسمة واعتذرت عما لاحظه

من فتورها فى الصباح ، فلم يدهشه هذا التقلب ، وكتاب حياتها معه ملىء بالمتناقضات

ومضت الشهور بعد هذا تباعاً ، والباشا تارة يرسل ، واخرى ينسى أو يتناسى ، حتى كفّ يده عن الدفع ، وامتنع المدرس حتى عن المرور فى طريقه خشية تذكيره بما يجب عليه

وقطعت احسان أحد عشر شتاء ، دون أن تعرف شيئا عما يكتنفها من الاسرار . وكانت مكبة على الدرس فنالت الشهادة الابتدائية ، فاحتفلت امها بها وقدم لها والدها المدرس ساعة يد ذهبية تقديرا لهذا النجاح

وبعد انتهاء الحفلة قالت الزوجة ــ أظن أنه آن الاوان لأن نرسل احسان الى مدرسة داخلية

فأجابها الزوج ــ ولماذا ؟

ــ ككل بنات الذوات

ــ وأين نحن منهم ، ومع كل فهذا ليس صحيحا

ــ وهل تخاف عليها وقد بلغت الثانية عشرة وستكون بين زميلاتها محوطة بالرقابة الشديدة

ــ أنت أولى بهذه الرقابة مادمت على قيد الحياة

ــ وهل كل هؤلاء البنات فقدن أمهاتهن

ــ ان كن أحياء فلا شك أنهن فقدن عطفهن

ــ أن الناس يتهامسون أنك من « الدّقة القديمة »

ــ أنعم بهذه الدقة . ولماذا نسير فى طريق التقليد الاعمى وتندفع وراء الغير دون تبصرة

أن ما قلته مجرد اقتراح ، لك الحرية فى الأخذ به أو اطراحه جانبا ، وانت بالطبع أدرى منى بشئون التعليم

وخرجا من هذا الحديث الى غيره خاصاً بشئون العائلة فلفت نظرها الى ما يبدو عليها من تطور جديد ، وأسراف مستمر فى الزينة ، واقامة الحفلات ، والخروج من المنزل فى أكثر الاوقات فثارت بينهما عاصفة هوجاء ، كادت تقتلع شجرة هذه الحياة العائلية التى أينعت منذ اثنى عشر ربيعاً

* * *

صدقت فراسة المدرس فيما كان يلحظه على زوجته من تطور ليس فى الزينة والملبس فحسب ، بل شمل التطور نفسيتها اذ كان يحس تبرمها من قيود الزوجية وروابطها ، ويشعر أنها تصبو الى الحياة المطلقة ، وخالجه الشك فى سيرتها أياما ولكنه لم يتحقق من سبة تصمها ، فأخذ يعالج الامور لعله يستطيع تقويمها وردها عما اندفعت فيه مما قد يجر الى ريبة أو خطيئة فلم يفلح

ولم تكن هذه الثائرة هى الأولى من نوعها ، بل سبقتها ثورات أذهبت عطف المدرس عليها ، وازادت طغيانها على النظام العائلى

فلما هبت العاصفة الأخيرة تذرعت بها واتخذتها سلما لغايتها فاعلنت فى صراحة تمردها على المدرس وبالغت فى احتقاره بما يوغر صدر الحليم ، أو البليد

وكأنما كان المدرس على استعداد لتتائج ما أوحته اليه فراسته ، فأراد أن يسهل لها مأموريتها بأن يضع حداً لهذه العلاقة التى كانت فى سبيل صديق تناسى الجميل

فدعا زوجته اليه فى مكتبه ، وقال لها فى هدوء ، انه سيطلقها وسيدفع لها مؤخر الصداق وجملة النفقه المفروضة ، وسيحتفظ باحسان ، ليقوم بتربيتها لانها تحمل اسمه

فأظهرت الدهشة لهذه المفاجأة وتصنعت الحزن والبكاء وتوسلت اليه فى فتور وتراخ ان يعدل عن رأيه ، فأصر على عزمه ، وقد فهم معنى فتورها

وفى الحال انقلبت تعنفه وتهجوه وظلت تقذع له القول حتى ضاق صدره فقال لها لا شك أن هذا جزاء الاحسان ، وأنى أحمد الله على أنى لم أعقب منك

فضحكت وأجابته . أما عن الولد ، فانى انا التى عملت على ذلك لأكون خفيفة الأثقال

وأما عن الاحسان فلا تتصور أنك أحسنت الىّ . بل على العكس فقد أسأت كل الاساءة ، فلو لم تقف فى سبيلى وتخدعنى بنصائحك لكنت لا أزال قابضة على عنق الباشا وكانت أحسان ابنته الشرعية وقد كان على وشك التسليم بمطالبى خشية الفضيحة ، فلما ظهر شبحك الاسود ، غابت شمس سعادتى

المدرس ـ متشكر . متشكر

الزوجة ـ وفوق هذا فقد ضيعت علىّ خلال السنوات الطوال التى قضيتها تحت سقف هذا الكهف ، فرصا كثيرة ، فلا تظنن أنك بهذا الطلاق ستقضى علىّ بل ثق أنك ستفتح لى باب الحياة المليئة بالسعادة

المدرس ـ وهذا ما أردت

***

تم الطلاق فجمعت ملابسها ، وأعطاها المدرس جانبا من الاثاث حملته الى تاجر المنقولات القديمة فاشتراه منها وأضافت ثمنه الى ما أخذته من مطلقها الى ما كانت تدخره مدة مكثها معه وجعلت من ذلك كله رأس مال لحياتها الجديدة

واستأجرت منزلا صغيراً « بحدائق القبة » تحيط به حديقة بديعة التنسيق فرشته بأفخم الأثاث واستخدمت بوابا وبستانيا وطاهيا وخادمتين

وفتحت بابها للزائرين والزائرات وأقامت الحفلات ، ومختلف السهرات مدعية أنها من بيت مجد رفيع ، فلم يتسرب الشك الى أذهان المترددين عليها لما أحاطت به نفسها من مختلف المظاهر ، والناس كثيراً ما يخدعهم المظهر الخلاب .

وراحت تبتغى بين هؤلاء الرواد من ذوى الجاه حظا حتى أوشك أن يقع البعض فى حبائلها ، ولكنهم وقفوا منها عند حدّ المتاع الزائل دون أن تبلغ من مالهم مأربا

وهام بها وهى على أبواب الافلاس ، شيخ متهدم يرفرف فوق رأسه ملاك الموت فى كل حين ، فاتخذ من دارها جنة نعيم ، ومن عطفها عليه رسول رحمة

وكان هذا العاشق الفانى على جانب من بسطة العيش يصرف أكثر ريعه على الخمر والغانيات ، الا أنه مع هذا كان موضع السخرية من المتراهى على أقدامهن ، الباذل ماله من أجلهن ،

وكان يحس من نفسه هذا العيب فيقبع فى داره مختفيا عن عيون الناس متحاشيا مايلقاه من هزء وما يصيبه من هوان : الا أنه كان ضيق الصدر ، قليل الصبر ، لايطيق بعداً عن الخمر ، فاذا ماعاد سيرته الاولى أخذ الناس منه أداة للهو وأغرقوا فى احتقاره ، والهزء منه ، فلما رأى عطف هذه السيدة عليه بدأ يطمئن اليها ، ويقضى هزيعا من الليل بالقرب منها

وكانت الأيام قد علمتها صناعة التودد الى الناس ، والتقرب الى القلوب الخاوية ، فخلبت لب هذا العجوز ، فلما وازن بين ما يراه من عطفها ، وما يلقاه من اذلال غيرها ، أيقن انه فى النعيم المقيم

واقترح عليها ان يتخذ منها خليلة ، فرفضت فى شىء من التعفف المصطنع، الاّ أن تكون حليلة ، متعللة بان ماطلب لايتفق وكرامة أسرتها وشرف عائلتها ، وبعد محاورات ومفاوضات دارت بينهما عدة أيام ، قبل العجوز الزواج منها

واقترحت عليه بدورها أن ينتقلا الى ضيعته ، حيث تطيب الاقامة ويرتشفان معا كؤوس الهوى والهيام ، فاعجب برأيها ونفذه بعد أسبوع

ووسوس لها الشيطان أن تعمل على الاستيلاء على ثروته ، فتذرعت بالدهاء ، وأكثرت معه من أحاديث الحب والاخلاص والوفاء ، وراحت تبثه غرامها ، وحبها له ، وأعجابها به ، وأن الشيوخ أوفى من الشبان إذا أحبوا ، وأحرص على سعادة المرأة وهناءتها بما أوتوا من خبرة وحنكة ، وأن المرأة تحب فى الرجل ، خصلتى الاخلاص والوفاء ، فهى تبيع روحها فداء رجل تؤمن باخلاصه ، وينبض قلبها بالحب له ، اذا تأكدت وفاءه

ويسرعان ماوقع فى حبائل مكرها ، فكتب لها نصف ضيعته، فوق مايصيبها شرعا بعد وفاته

فلما تحققت أحلامها ، بدأت تنفذ خطتها للتخلص منه ، فأسرفت معه أيما إسراف ، وأغرقته فى بحر من الخمر، كيما ينصرم حبل حياته دون ان يتجه اليها اقل ريب

***

اعتاد المدرس فى السنوات الأخيرة ، أن يرسل احسانا الى بلدة « الصالحية » من أعمال مديرية الشرقية ، لتقضى جانبا من عطلة الصيف ، عند ابنة عمه ، ترويحا لها ، وتجديدا لنشاطها . فلما وطدّ عزمه على تطليق زوجته ، وصمم على إبقاء احسان معه

صيانة لاسمه ، احتاط للأمر من نواحيه المتعددة ، فكان أن أسرع فى إرسال إحسان الى مصيفها

ولما وقع الطلاق ، وتمت التفرقة ، لحق بابنته ، فوصل به القطار الى البلدة بعد العصر ، وكان قد أقبل بعض أهلها نحو المحطة ، يستمتع فريق منهم بهذا المنظر ، وينتظر فريق آخر توزيع البريد

وكانت احسان بين الحاضرين ، تجمع بين الغرضين ، قد صحبها أحد القرويين من عمال مزرعة عمتها

فلما وقف القطار ، تزاحم الناس ، واختلط القادمون بالمنتظرين ، وكادت احسان أن تنصرف خلف عمال البريد ، وقد حملوا اكياس الرسائل ، لولا أن سمعت صوتا يناديها ، لم يخطر ببالها لاول وهلة انه صوت والدها ، فقد تركته فى القاهرة منذ أسبوع ، ولم تجر العادة أن يحضر دون أن يكتب إلى عمتها ، فأحدث رنين هذا الصوت مفاجأة نبهت أعصابها ، وهزت أوتار قلبها ، فأدارت رأسها فوقع بصرها على أبيها ، يحمل فى يمناه حقيبة ، وفى يسراه بعض الجرائد والمجلات ، ووقف من خلفه قروى يحمل حقيبة أخرى كبيرة ، فأسرعت اليه ، ورفعت ذراعيها لتطوق عنقه فلم تصلا إلا الى كتفيه ، وراحت تقبل يديه فرحة لا تعى ما تقول من عبارات الترحيب لفرط سرورها ، فمال عليها ، وطبع فوق جبينها قبلة أبوية

وانحنى العامل يحاول ثم يده فمنعه وساعده الحقيبة ، وأخذ بيد ابنته وسارا والرجلان يتبعانهما بما حملا

غير أن الفتاة لم تبلغ ساحة المحطة ، حتى سألته عن والدتها ، ففتح شفتيه عن ابتسامة مصطنعة ، لم تفطن اليها لحداثة سنها ، وبعدما عما كان يحدث بين أبويها ، وأجابها بأنها ستحضر بعد أسبوع

ومرت بذهنه مجموعة الحيل التى أعدها ليختار أكثرها سبكا ، وأقربها تصديقا ، ليلقيه فى روع ابنته بشأن والدتها

وقطع المسافة الى الدار وهو يتظاهر بفهم ماتحدثه به إحسان ، بينا هو مشتغل بخلق المناسبة لمفاتحتها فيما صمم عليه

ولما اقتربا ، هرعت الفتاة فى مرح وانشراح ، تخبر عمتها بقدوم والدها

***

وبعد اللقاء ، وتبادل التحيات ، كلف ابنته بترتيب ملابسه ، ولما انصرفت طلب إلى ابنة عمه ، أن تذهب به ، الى غرفة لاينتقل صدى الحديث منها الى غيرها ، ليبثها آلامه

وهنالك قص عليها ما كان من أمره مع امرأته ، فهنأته على هذه النتيجة ، وفرحت لنجاته من شرها ، ثم أخبرها بما عول على اتباعه مع احسان ، وبعد أخذ ورد ، وصلا الى حل مناسب

وفى المساء ابلغ الفتاة ان والدتها منحرفة الصحة ، وأنها ستحضر بعد تمام الشفاء ، فتأثرت واقترحت أن تعود لتكون بجانب والدتها ، تقوم على خدمتها ، فأذهب خوفها وأفهمها أن الحالة لاتستوجب سفرها

واستطاع أن ينتقل بها من موضوع الى آخر، واشتركت معه ابنة عمه فى هذه المهمة تنفيذا لما اتفقا عليه ، فعكفت على مشاهدة الهدايا التى أحضرها لها ، وكادت تنسى ما تمت عن والدتها

وفى نهاية الاسبوع أبدى لابنته قلقه لعدم حضور أمها ، وأنه مسافر ليطمئن على صحتها ، ثم يعودان معا ليقضيا الفترة الباقية من عطلة الصيف

وحاولت السفر معه ، لكنه استطاع ردها عن عزمها ، وغادرها بين احضان ابنة عمه تعيد اليها طمأنينتها وتذهب حزنها وكآبتها

***

بحث المدرس عقب وصوله عن مسكن جديد فى حىّ بعيد ، فاهتدى الى منزل صغير فى « مصر القديمة » نقل اليه ما بقى عنده من أثاث ، واستكمل ما ينقصه من أدوات ، وأقام به عدة أيام قضى بعضها فى الترتيب والتنسيق ، والتغيير والتبديل ، حتى استقر به الذوق الى وضع اخير

وطالت غيبته على أحسان ، فأرسلت اليه خطابا تستفسر عن صحته وصحة والدتها ، فحوّله موزع البريد ، الى منزله الجديد

وكأنما كان ينتظر هذا الخطاب ، فتأهب للسفر ، وأغلق الأبواب ، وركب القطار الى بلدة الصالحية

وكانت دهشة الفتاة عظيمة عندما رأته بمفرده وسط الدار ، ففاتها الاحتفاء بمقدمه ، وسألته فى تلهف عن صحة والدتها ، فارتمى على مقعد بجواره ، وقد بدا مكفهر الوجه ، مقطب الجبين ، مكتئب النفس ، وقد لزم

الصمت ، فألحت عليه ، فأجابها فى صوت ضعيف ، اهتزت نبراته ، واحتبست نغماته ، « أن أمك انتقلت منذ اربعة أيام الى الدار الثانية ، دون أن يمهلها المرض الفجائى الذى حدثتك عنه من قبل ، ولما كنت أعلم رقة احساسك ، ودقة شعورك ، اشفقت عليك ، وكتمت الامر عنك وتحملت هذه الصدمة وحدى »

جزعت البنت ، وتفجرت عيناها بالدمع ، وغلب عليها الحنان ، فارتفع صوتها بالعويل ، ولم ينقطع بكاؤها بالرغم من محاولات والدها وعمتها ، فتركاها حتى تعبت أعصابها ، وثقلت أجفانها ، ونامت نوما متقطعا تخللته هزات وانفعالات

ولم يخفف النوم شيئا من أحزانها ، فأخذت تبكى كلما أهاجتها الذكرى وكان والدها يتركها تطفىء نار حزنها ، بدمع عينها ، علما منه أن البكاء وسيلة من وسائل تفريج الكروب ، والتخفيف عن المحزون ، خصوصا اذا جاءت على أثره مواساة من حكيم ، ذى قلب رحيم ، أعقبتها فترة قصيرة من النوم

فكانت كلما بكت ، قدّم لها من حلو حديثه ، ما يلين قلبها ، ويهدىء روعها ، ومن ثم يهيء لها فرصة النوم

واستخدم معها فوق ذلك ، ما درسه من فن الايحاء ، فكانت اذا استغرقت فى النوم ، يقترب من سريرها ، ويوحى اليها من كل قلبه ، الاّ تهيج الذكرى أشجانها ، ولا تدفعها الى البكاء ، وان تحل السلوى من نفسها محل الحزن ، والانشراح محل الانقباض

وسرعان ما أفلحت طريقة علاجه فقد عادت اليها بشاشتها يوما بعد يوم ، فلما آنس منها ذلك عاد بها الى القاهرة فارتاحت الى المنزل الجديد واستقبلت فيه عهدا جديداً

***

لاشك أن احسانا استقبلت حياة جديدة حيث التحقت بالقسم الثانوى فكانت تقضى نهارها فى المدرسة ، وتعود عصراً الى البيت لتقوم بما كلفها به والدها من بعض الشئون البيتية التى لاترهقها ، وذلك تدريبا لها على حسب النظام والطاعة ، ومزاولة ماتحتاج اليه بنفسها . وكان قد عهد اليها فى ادارة شئون المنزل المالية ، وترك لها الاشراف على اعمال الخادمة ، ابتغاء تنمية روح الادارة فى نفسها . وأخذ يسدى اليها النصح ويرشدها الى مواطن الصواب ، كلما وقف منها على عيب ، او تلمس من جانبها تقصيراً

وأعطاها حدوداً معقولة من حرية استقبال فريق من صديقاتها فى منزلها ، أو رد الزيارة اليهن ، او استصحابها معه الى دور السينما اذا كانت الرواية المعروضة تشمل بحثا اجتماعيا هاما ، او نظرية علمية

***

وكان يقيم أمام منزل هذا المدرس ، مهندس عرف بحبه للبحث ، مغرم باقتناء الكتب العلمية والادبية ، يميل بفطرته الى قرض الشعر ومزاولة صناعة الادب ، حتى بات يلقب بين اصدقائه ومعارفه بالمهندس الشاعر

فنشأت بينه وبين المهندس صداقة متينة ، ربطت اواصرها ، كثرة التزاور ، وقرب التجاور ، وتوافق الميول ، واتحاد المشارب

ولطالما قضيا الليالى مما يقتطفان من ثمار العلوم والمعارف اشهاها ، وقد أنستهما لذة البحث ، تقدير دورة الوقت ، وشغلتهما حلاوة الحديث ، عن التمتع ، بسكرة النوم

وكان الناس ، لفرط هذا الاختلاط ، يعتقدون أنهما اخوان ، خصوصا وان احسانا ، كانت تلقب المهندس بعمها ، وكثيرا ما شوهدت معه وحده فى ظروف متعددة ، تؤكد هذا الاعتقاد

وانقضت الايام تباعا ، واحسان تتقدم بخطى سريعة نحو سن الشباب ، وهى مع ذلك تزداد علما وصحة وجمالا

***

وخدمها الحظ فنالت شهادة الكفاءة دون ان ترسب فى أعوام الدراسة ، فعزز هذا جانبها لدى والدها وعمها المهندس وصديقاتها فى المدرسة ، وجاراتها من الفتيات

وتحين اصحابها ، فرصة لقائها بعد نجاحها ، فقدموا لها من عبارات التهانى ما يعجز الوصف عنه ، وتنافسوا فى تقديم تذكارات هذا النجاح فكان كل واحد منهم يبثها لواعج هيامه خلال حديثه معها ، ويشير اليها اشارة الاعجاب ، واشتعال الفؤاد ، بنيران الغرام

أما هؤلاء الاصدقاء ، فأنهم فتية ثلاثة امتازوا بحسن القوام ، وجمال

الهندام ، تبدو عليهم سمات الوجاهة واليسار

عرفت أولهم وهو « أمين » فى عهد الحداثة الاولى ، فقد كانا متجاورين فى السكن فى المنزل القديم . ونسيا عهدهما هذا لطول المدى حيث انتقل والد أمين الى مصر القديمة ، فلما انتقلت مع والدها اليها جمعت الصدفة بينهما مرة ثانية ، وتملكت الصداقة قلبيهما حيث انتهت بالحب

وظهر فى سماء غرامها بعد ذلك شابان طالما تنافسا ، وتزاحما على اجتذاب قلبها ، والتقرب اليها ،

أحدهما هو « عبد الصبور » يقطن فى المعادى ، وكان والده موظفا كبيرا يحمل لقب الباشا ، مات منذ عامين وخلف له ثروة طائلة

أما الاخير فشاب فى الرابعة والعشرين من عمره ، حديث الالحاق بوزارة المالية ، بعد تخرجه من مدرسة التجارة العليا ، وقع فى غرامها منذ رآها فى بيته تذاكر مع شقيقته فى الايام الاخيرة قبل الامتحان ، فسهلت له هذه الفرصة ، وسائل التعرف بها ، فالتودد اليها ، فالنفوذ الى قلبها

وكان أمين ، فى بدء تعرفها بهذين الشابين لايخشى تقلبها ، لتمكن الحب من قلبيهما ، وارتباطهما بروابطه . لكنه بعد فترة رأى فتوراً فى العلاقة ، ولاحظ توزيعها وقتها بينه وبين غريميه ، فدبت فى نفسه الغيرة ، وأكلته نيرانها ، فأصبح ثلاثتهم يتنافسون

ولم يخش أمين بأس الموظف لحداثة اتصاله بها ، ولعدم توفر وسائل الاغراء لديه . انما كان يوجس خيفة من ابن الباشا ليسره ، وفرط بذخه ، وانطلاقه من قيود الرقابة بعد وفاة والده ، مع انه ما زال طالبا في كلية الحقوق

ولم يكن يعتقد أنه يحبها للزواج منها ، بل كان يوقن أن ذلك كان للعبث بها ، ومن ثم يتركها تحمل تذكارات هذا العبث المشين

وكان يخشى أن تفلت من يده ، وقد وطد العزم على الزواج منها ، خصوصا وقد تهيأت الفرصة أمامه ، حيث اكتفى والده بنواله شهادة الكفاءة وجعل هذا آخر حدّه من التعليم ، وأخذ يدرّبه على أدارة شئونه المالية ومزارعه الواسعة فى الوجه القبلى تمهيداً لان يخلفه من بعده فى مركز العمدية

وكان والده ممن يميلون الى التبكير فى تزويجه ، ولكن من فتاة موسرة فكانت هذه النقطة ، علة الخلاف بينه وبين أبيه

فرأى وصولا الى غايته ، وحصولا على يد احسان ، أن يستعين بوالدته فساعدته بما اوتيت من حظوة لدى العمدة ، فنزل على ارادتها ، ووافق على هذا الاختيار ، لما يعرفه عن والدها من مكارم الاخلاق

ولم يكن غريماه ممدوح الموظف ، أو ابن الباشا ، يعلمان شيئا مما وفق اليه منافسهما أمين بل كان كل منهما يشق طريقه الى الفوز بها

***

اما احسان فقد طبعت على المرح . والميل الى المزاح . ويظهر انها ورثت عن أمها حب المغامرات والاستهتار . فكانت لاترهب لقاء الشبان او التحدث اليهم ، بل كثيراً ما كانت تدفعهم الى التفكير فيها ، والتعلق بها ، بعذب حديثها ، وظريف فكاهتها . وخفة روحها ، وحسن تأنقها

وما ان اكتمل عودها حتى فتحت قلبها للحب الى اقصى زواياه

ونواحيه ، على انه لم ينبض بالحب عن شعور صادق به ، بل كان لمجرد التقليد ، وتفسيراً لاحلامه اللذيذة ، التى مرت بخيالها اثناء قراءتها قصص الغرام ، او سماعها أحاديثه من زميلاتها فى المدرسة

وكثيراً ما لبت دواعى الغرام . فقابلت المحبين او المتهافتين . وانصتت فى دلال الى كلمات الاعجاب والاطراء ،

وجدير بها أن يملأ الغرور قلبها والمتهافتون عليها مأسورون بجمالها ، تتحكم فى افئدتهم كما يشاء لها الهوى

وجدير بها أيضا أن تكسب عطف والدها وثقته وقد نالت شهادة الكفاءة بتفوق فى الدرجات ، كان أولى به أن يكون من حظ الشبان ، وفى مقدمتهم « أمين » الذى نال أقل درجات النجاح وجاء بعدها فى الترتيب

ولا تسل كيف كانت تسنح الفرص لفتاة فى مثل سنها ، فترتشف كؤوس الهوى على غرة من أبيها وقد أحاطها بسياج من رقابته

لم يكن من الصعب عليها أن تلتقى بعشاقها دون افتضاح أمرها أو وقوف والدها على شىء من دخيلة نفسها ، فطالما ادعت انها كانت عند احدى زميلاتها لمراجعة بعض الدروس ، ولطالما وقع قولها الكاذب لديه موضع اليقين

بل وكثيراً ما استأذنته في السماح لها بالتنزه مع صديقاتها فيأذن لها ، فتخرج فى أبهى زينتها للترويح عن نفسها ، فتذهب ولكن حيث تكون بالقرب من أحد المغرمين بها

وفى الواقع لا يستطيع الوالد مهما كان خفيراً يقظا شديد الرقابة ، او سجانا كبل ابنته بالسلاسل والاغلال ، أن يمنعها عن التحليق فى أى

عما تشاء ، او يردها عما تشتهيه

ولم تجدها الشدة التى أخذها بها منذ الصغر ، ولم تستفد شيئا من سلوكه معها هذا المسلك . عند ما واجهت الحياة على حقيقتها ، وأحاط بها ذئاب العفاف من كل جانب

وكادت تكون كما أحب والدها أن تكون عليه من شرف واستقامة ، وهمت أن تفاتحه بما وقع لها بادىء الامر ، لكن شبح هذه الشدة حال دون ذلك فكتمت أمرها . ودفنت سرها

على أن مثل احسان ، مع ما هى عليه من استرسال فى الحب ، وتنقل بين أفنانه ، لم تكن بالصلبة فتكسر ، او اللينة فتعصر ، بل كانت من المرونة بالقدر الذى ينتهى عند حد اشباع نفسها بما تهواه ، ومن الصلابة بالحد الذى تحتفظ فيه بكرامتها وعفتها

ولعل هذه المرونة ترجع الى البذرة التى نبتت منها ، والتربة التى غرست فيها . فأن الصراع الوجدانى الذى كان عليه ابواها عندما بدأت علاقتهما والتطورات النفسية التى تقلبا فيها بين أخذ ورد . واغراء ووعد ودهاء ومكر . روّت هذه البذرة بهذا الرى وجعلت منها طفلة تتمشى فى عروقها مجموعة من الغرائز ، ترجع فى أصولها الى مزيج من هذه الصفات فلا عجب . والعرق دساس ـ اذا نشأت على هذا النحو

***

كان فى وسع العمدة ان يذهب رأسا الى المدرس ليفاتحه فى أمر

المخطوبة لما بينهما من سابق المعرفة خصوصا ايام كانا متجاورين فى المنزل القديم ، لولا أنه رأى بثاقب فكره ، أن تقادم العهد على هذه الصلة ، وانقطاع التزاور بينهما فى الأيام الاخيرة ، قد لايضع والد الفتاة موضع الالتزام بالاجابة تلبية لنداء الصداقة واحتراماً لقوانينها المقدسة التى كثيراً ما تطغى على غيرها ، لقيامها على أساس العاطفة ، وبعد اصولها فى اغلب الاحيان ، عن قوانين العقل والعدل

وكانت هذه القاعدة الذهبية هى كل عدته ، فى رخائه أو شدته ، ولم يكن لديه من دستور الحكم ، خيرا من التقتير الاثراء ، والتذلل الى ذوى النفوذ لقضاء الحاجات ، والتنصل عن اجابة المطالب والملتمسات . فهو يأخذ ولا يعطى . ويجمع ولا ينفق ، ويتوسل بالوسطاء ، بينما يردّ كل رجاء

وكان لطول خبرته ، يدرك أن البيوت تؤتى من ابوابها ، أو كما يقولون ، يعرف من أين تؤكل الكتف

وكأنما خدمه الحظ لتوفر معرفته بالمهندس ، فاتخذ من هذه الرابطة سلما يرقى عليه الى غايته ، فقصد داره ، باعتباره أعز أصدقاء المدرس ، وأولاهم بالحظوة لديه ، وأكثرهم دالة عليه

واستقبله المهندس بالحفاوة والاكبار ، وقد ظن أنه آت يكلفه بعمل تصميم لعمارة شاهقة فيصيب من وراء ذلك أجرا يتناسب مع ضخامة ثروة العمدة ، وفخامة البناء

ودار الحديث بينهما وطال ، ولكن على محور التحيات ، والاشواق والتسليمات ،

وكان المهندس يفهم أنه من يحبون اللف والدوران ، فمهد له بسؤاله عن عمارة سابقة كان قد قام برسم تصميمها ، واشرف على بنائها ، فانبرى صاحبنا يمتدح المهندس بما فيه ، وما ليس فيه ،

ورأى بدوره ان يمهد لموضوعه ، فانتهز فرصة هذه الاشارة ، وادّعى أن لديه قطعة أرض فضاء يفكر فى بنائها

ثم بعد ذلك عرّج على أحاديث الزواج واوهمه أنه جاء ليستشيره فيمن تصلح لان تكون شريكة لابنه امين وقد اعتزم تزويجه فى سن مبكرة ليقيه شر المفاسد ، ورجاه أن يعاونه فى اختيار فتاة يأنس منها حسن الخلق ، مع جمال الخلق ، وطيب العنصر

اعتقد المهندس أن الزيارة لمجرد الفتوى وأن اختياره لها كان لتناهى الثقة به ، فسر لذلك جد السرور ، وفى الحال مرت بذاكرته صورة احسان ابنة صديقه المدرس ، فاقترح على العمدة أن تكون زوجة امين ، وراح يطنب فى محاسنها ويشيد بذكر ادابها وطيب ارومتها ، ومكارم اخلاق والدها

فقال العمدة : لاجدال فى ان الحظ خدمنى باستفتائى اياك ، فقد كاد الشيطان ان ينسينى أياها ، وفى الواقع ان ما يلهج الناس به من حسن الذكر عليها وعلى والدها ، يحملنى أرحب بها وأرجوك أن تتوسط بينى وبين والدها

فقال المهندس انى على موعد الآن معه ، ومنزله على بعد عدة أمتار من هنا ؛ فحبذا لو جئت معى فلبى الدعوة فرحا ، وأخذا طريقهما الى منزله

وهكذا وصل العمدة من طريق اللف والدوران الى بغيته ، وهو عزيز الجانب ، موفور الكرامة

***

عرف المدرس لاول وهلة صديقه القديم ، فاستقبله استقبالا حسنا ، ورحب بلقياه ، واخذا يحمدان الله على هذه الصدفة الجميلة ، التى جمعتهما وجددت عهد صداقتهما ،

وامتدح العمدة صفاء ذهن المدرس ، وقوة ذاكرته ، وكان هذا المدح ، سبيلا من السبل التى يلجأ اليها ، استمالة للقلوب ، واستجداء للعطف ، واكتسابا للثقة ، واستدراراً للخير

فقد صبر المهندس خلال الدقائق القليلة التى صرفاها فى تبادل التحيات ، ولبث يتحين الفرصة ليزف البشرى الى صديقه ، وقد أيقن أنها صفقة لاشك رابحة

وبعد تناول القهوة كفّ العمدة عن ثرثرته ، فكانت الفرصة للمهندس ، ففاتح صديقه فى الامر ، وختم ذلك بقوله ، أنه يعتقد ان رجاءه لديه لن يخيب

فابتسم والد الفتاة ابتسامة الرضا ، وقال مرحى بهذا الشرف العظيم ، وتلك الثقة الغالية ، وانى ان أردت زواجها فلن أجد خيراً من هذا النسب ، غير أن الاوان لم يحن بعد ، فهى مازالت صغيرة السن ، ناقصة التعليم ،

المهندس — لقد بلغت سن الزواج ، ومن رأيى أن نفرح بها قريبا

المدرس — لاتزال فى الخامسة عشرة وإن كانت تبدو كاملة التكوين

وأن التبكير فى زواج البنات يضربهن من نواح متعددة

العمدة — ان الفلاحين سعداء فى زواجهم ، وأعتقد أن سر ذلك يرجع الى التبكير فى زواج البنات قبل الشبان

المدرس — أنها سعادة وقتية وهمية ، فالحياة الزوجية فى بلاد الريف ، حياة آلية بحتة ، تقوم فى الغالب على تقاليد معينة ، تضع الزوجة فى صف الخادم والرجل فى مرتبة السيد

المهندس — وهل فى ذلك عيب ، والرجال قوامون على النساء

المدرس — لم أقصد محو هذه القوامة ، ولكنى أردت أن أقول انها تخرج عن حدّها فى بلاد الريف الى درجة الاستبداد فتعدم روح الحياة الزوجية

العمده — ومع هذا فالنساء سعيدات ، وسوق المحاكم الشرعية فى هذه الايام ، فى كساد مستمر

المهندس — وفوق هذا فالاعتراض من هذه الناحية لايتعلق بالسن ، وأن صح فغالبا يرجع الى العرف

العمده — ومن ناحيتى ، فلست من أهل الريف بحكم اقامتى ، ويكاد يكون تأثير هذه العوائد فى نفسى معدوما ، ومثلى على أدق تصوير ، مثل موظف نقل الى بلاد الريف ، فحظه من هذه الحياة ، حظ المتفرج من صور الخيالة

اما ولدى أمين ، فصلته بالريف كصلة السائح بالاثار ، يتمتع بأجمل المناظر ، مع حسن الوفادة وطيب الاقامة ، فأذا

ما عاد ادراجه لن يحمل معه الا احسن الذكريات

المدرس — لم اقصد ان أوجه اليك هذا الحديث بالذات ، انما قلته رداً على استشهادكم بزواج الفلاسفات فى سن صغيرة

المهندس — نحن نعرف شريف غرضك ، ورقيق شعورك . ولكنى من ناحية اخرى اعتقد ان تأخير زواج الفتيات يضرّ بهن من نواح كثيرة خصوصا ونحن فى عصر قلّ فيه الحرص على الاداب

العمده — على انى لا افهم حتى الان حكمة تأخير الزواج مادام اهل الفتاة فى غنى عن ثمرة مجهودها

المدرس — اننا فى عصر استردت المرأة فيه حريتها المسلوبة ، وحقوقها المهضومة ، فاصبحت الفتاة بعد هذا تعمل بجد ونشاط لتتبوأ مركزها الحقيقى فى الهيئة الاجتماعية

العمده — اى مركز اكثر من ان تكون زوجة صالحة ، وأمّا تعكف على تربية أولادها

المدرس — كلما كانت المرأة على درجة عظيمة من الثقافة العالية ، كلما توفرت فيها شروط الصلاحية لان تكون زوجة تملأ بيتها سعادة ورفاهية ، وأمّا تجعل من أبنائها رجالا تدين العظمة لهم ، ويزدان التاريخ بتخليد أسمائهم

المهندس — قد يكون هذا الرأى صوابا ، ولكننا مع ذلك لم نسمع أن أمهات القواد العظام الذين دوّخوا العالم وغيروا وجه الأرض كنّ على شئ من العلم ، فان قيل ان القواد بنوا مجدهم بقوة عضلاتهم .

فماذا نقول فى غيرهم من الفلاسفة والعلماء ممن خدموا العلم فى عصوره الاولى ووضعوا أسس المعارف المختلفة ولم يقم دليل على أن أمهاتهم كنّ يعرفن على الاقل حروف الهجاء

المدرس — لا انكر ان الحق فى جانبك ولكن ماذا يصنع والد الفتاة فى العصر الحاضر ، والشبان على ماهم عليه من زهد فى الزواج بحالة تشبه الاضراب ، يحتمون ان يتوفر مالها قبل علمها ، وعلمها قبل جمالها

العمده — اما فى الزمن السالف ، فكانوا يتخذون من فقر المرأة دليلا على شرفها ، ومن جهلها برهانا على سذاجتها وطهرها ، ويضعون كمالها ، فوق جمالها

المهندس — وعلى هذا كانت الاسرة على اتم وفاق ، يحب الرجل زوجه ، وتعبد المرأة زوجها ، ويتفانى الاباء فى محبة اولادهم ، ويطيع الابناء آباءهم ، طاعة ممزوجة بالحب والرضا والاخلاص

المدرس — وكانت الاخلاق اذ ذاك على اتمها ، والفضائل على صورها التى وضعت لها ، ولم يكن هناك ثمة شىء يشار اليه بالبنان ، خلاف السعادة العائلية

المهندس — لعلك بعد هذا لا تمانع فيما رجوناك ، ولقد بلغت احسان من الثقافة حداً يجعلها زوجة تعرف واجبها نحو زوجها واولادها ، وتعرف مالها وماعليها

العمده — ولا تنس ان امينا يتساوى معها فى درجة التعليم ، مما يجعله لا يتيه عليها يوما من الايام

المهندس — هذا ما أقطع به وسيكون مثال الزوجية الصالحة السعيدة الموفقة

المدرس — اكاد انزل عند رأيكما ، فارجو ان تعطياني فرصة استشارة احسان فهي في الواقع صاحبة الشأن في هذا الامر

المهندس — يقيني انها لاتعصى لك امرا ، وفوق هذا فهي في سن لا تعرف فيه مصلحتها بالذات ، كما تعرفها أنت ، فاقرءوا الفاتحة على بركة الله

العمدة — لاشك ان احسانا لاترفض يد امين ، وقد كانا اخوين في الصغر ، فلما درجا كانا يقضيان الوقت في اللعب فنشأت بينهما منذ ذلك الحين عوامل الحب الخالص ، وسيجنيان ثماره الشريفة ان شاء الله

المهندس — لقد اخبرني حضرة العمدة انكما كنتما متجاورين في السكن وكانت الصلات بينكما وثيقة الهرى ، وكنتما تتزاوران في اغلب الاحيان

المدرس — هذا صحيح ، ولم يقطع تلك الصلة الا بعد المزار ، وكثرة المشاغل ، واحمد الله على هذه الفرصة السعيدة التي جمعت بيننا على احسن حال ، وقد مرت الآن بذاكرتي صور من ذلك الماضي السعيد اخشى معها ان يكونا اخوين في الرضاعة

العمده — لا اظن ذلك ، ولو ان اختلاط العائلتين كان عظيما ، ولا اعتقد ان تبادل الرضعات امر واقع

المدرس — الامر بسيط . ففي متناول يدي كراسة تحوي كثيرا من المذكرات الهامة دوّنت فيها اخوات احسان في الرضاعة ، لان والدتها مرضت حينا من الزمن ، فاضطررنا لمثل ذلك ، فأن كان امين من بينهم فقد خسرت زوجا ، وكسبت اخا ، وان لم يكن ، فقد ربحت الاثنين

وغاب لحظة عاد بعدها يحمل كراسة اخذ يقلب صفحاتها ، ثم عين واحدة منها واعطاها للمهندس فأخذ يتلو ما جاء فيها بصوت مرتفع ، وقد تضمن ان والدة امين ارضعت احسانا عدة رضعات ، وبالمثل ارضعت والدة احسان امينا اكثر من ثلاث رضعات

المهندس — امر عجيب

العمدة — لاحول ولا قوة الا بالله ، ان امينا يحبها حبا جما

المدرس — لأن تكون احسان اخته ، خير فى نظرى من ان تكون زوجا له ، فأنها فتاة وحيدة فى حاجة ماسة الى اخ ذكى الفؤاد ، عزيز الجانب ، يشعر نحوها بعاطفة الحب ، ليشد ازرها اذا قلّ النصير

العمدة — اشكر لك جميل احساسك ، ولا شك ان امينا سيكون لك الابن البار المطيع ، ولها الاخ المخلص الامين

المدرس — اشكرك واسأل الله ان يديم المودة بيننا

المهندس — ان دهشتى لاكتشاف هذا السر عظيمة جدا ، لا يفوقها الا اعجابى بقوة ذاكرتك ودقتك فى عملك ، وفى يقينى انه ليس فى البلاد الاسلامية قاطبة من يهتم بهذا الامر بالذات فيفرد له فى مذكراته صحفا خاصة يرجع اليها وقت الحاجة

المدرس — لاحظت اثناء تنقل فى بلاد الريف ، أن أهلها عند اختيار الزوجين يلجأون الى النساء لتقرير هذه الحالة ، التى قلّ ان تعيها الذاكرة فيرتضون بحكمهن فيها ، فلفت نظرى ما يتعرض اليه النساء من

ضعف الذاكرة ، او ميلهن مع الهوى مع ضعف ايمانهن ، او من وفاتهن وهن يحملن هذه المعلومات ، او من تفرق الاخوين فى الرضاعة واجتماعهما فى صعيد آخر فيقع المحظور على غير علم منهما ، فرأيت بعد التفكير ان خير وسيلة للاحتراز من هذا الخطأ الفادح ، هى ان افرد صفحات خاصة لاخوة احسان فى الرضاعة ، وها قد أفادت فائدة كبرى اذ مكنتنا من تنفيذ اوامر الشرع الشريف على اكمل وجه

العمدة — نعم ما فكرت فيه ، وان هذه مسألة جوهرية جدا ، وجديرة بعناية الحكومة

المهندس — انها فى الواقع جديرة بعناية المحكمة الشرعية ، وحبذا لو خصصت قسما لهذا ، أو سلمت « مأذون » كل جهة كتابا خاصا لاثبات ذلك

العمدة — هذا مايجب ، والفلاحون خاصة يقاسون متاعب كثيرة ليصلوا الى الحقيقة فى هذه النقطة عند ما يريدون تزويج أبنائهم ، خصوصا والزواج عندهم محصور فى الاقارب والاصدقاء والمعارف

المدرس — لاأظن الامر يحتاج الى قيام الحكومة او المحكمة الشرعية به ، والمسألة خاصة بحتة لاتستطيع الحكومة تنفيذها اذا ارادت ذلك ، والأولى ان يقوم بها رب العائلة ، حيث يسهل الرجوع اليها عند الحاجة

المهندس — هذا رأى سديد

العمده — كثيرا ما كنت أصبو الى الوقوف على حكمة تحريم زواج الاخ فى الرضاعة فلعل هذه الفرصة تسمح للكشف عن شىء من ذلك

المهندس — ارى انه يجب اولا ان نعرف حكمة تحريم زواج الاخ الحقيقى ثم نتدرج منها الى الاخ فى الرضاعة

المدرس — اما عن الاخ الحقيقى ، فلا شك ان حكمة التشريع ترجع إلى اغراض اجتماعية سامية ، اهمها أنه عند قيام الزوجية لاتكون الاخت موضع مذلة من الاخ ، ولا يكون الاخ موضع حقد من اخته وان اقلّ نزاع بينهما ، وهما على هذه الصفة ، يهدم كيان العائلة التى تقوم بعد الابوين على روابط الوفاء والمحبة والوئام بين الاخوة

المهندس — وفوق هذا فان الزواج من غير الاخت ، يزيد فى روابط الاسر التى تتم بينها المصاهرة ، ويوثق عرى المحبة ، مما يحسن العلاقات بين عدد كبير من افراد المجتمع ، ويدعو الى التكاتف فى المصالح ، فتتم المدنية وتنتشر الرفاهية ، وتتوطد اركان النظام الاجتماعى

العمدة — هذه آراء سديدة قيمة ، ولكن ما حكمة تحريم الاخت فى الرضاعة والعلاقة قائمة فى مسألة عرضية ، تنتهى سراعا ولا تمت الى عائلة الشخص بصلة تؤثر فى كيان العائلة اذا وقع الطلاق

المهندس — الواقع انها مسالة دقيقه يستلزم ابداء الرأى فيها الرجوع الى اقوال المفسرين وعلماء الشرع وغيرهم من الحكماء

المدرس — لعل التحريم يرجع الى امتزاج الدم عن طريق الرضاعة

العمدة — هذا لاشك فيه ، وامتزاج الدم ادعى الى وجود الجاذبية والالفة فيكون الزواج والحالة هذه مقترنا بالسعادة والتوفيق

المهندس — واذن يكون امتزاج الدم من الاسباب الاولى لتحريم زواج

الاخوين الحقيقيين

المدرس — هذا ما اعتقد

المهندس — وكيف يتحتم التحريم والجاذبية القائمة ، والحب الصادق الذى يملأ افئدة الناس ، ويدفعهم الى تلبيـة ندائه وتقديسه ، والتفانى فى بقائه قائما بكل ما اوتوا من قوة ، بل والذى كثيرا ما يجرهم الى تضحية مصالحهم على مذبحه ، لايقوم الا على ائتلاف الدم واتحاده وامتزاجه

المدرس — كانك تريد ان تقول ان الرضاعة اذا اعتبرت مزجا للدم وتوحيداً لعنصره فى الاخوين كان الاولى ان توجب عـدم التحريم ، وكان زواج الاخوين على هذا الاعتبار انفع للعائلة والنظام الاجتماعى معا

المهندس — قد تكون هناك حكمة خافية علينا فى التحريم ، انما سقت هـذا الاعتراض رغبة الـكشف عن بواطن الموضوع والالمام به من جميع اطرافه

المدرس — لانزاع فى ان امتزاج الـدم يكوّن وحـدته فى الشـخصين والاخوّة صورة من صـور هذه الوحدة

العمدة — وهل تتم الوحدة لمجرد رضعات قليلة العدد

المدرس — ان الدم يختلط من رضعة واحدة ، كما يختلط الدم بالمصـل من حقنة واحدة ، او كما يسرى السم فى الجسم من لدغة واحدة

المهندس — او كما يتحول الدم الى غير طبيعته من عضة واحدة كما يحدث ذلك اذا عـض الكلب الـكلب انسـانا فانه لايلبث ان يتمثل بطبـيعة الحيوان المكلوب

المدرس — اذن يصـح المزج من رضـعة واحدة فتتمكن وحـدة الدم

بسرعة بين الاخوين ويتحتم الفصل بينهما سواء أكانا اخوين
شقيقين او اخوين فى الرضاعة للحكم التى اوردناها

المهندس — ولكن لايزال اعتراضى قائما

المدرس — ان الالفة التى تتولد من امتزاج الدم يجب ان تظل قائمة لاتشوبها شائبة ، ولبقائها يجب تحريم زواج الاخوين ، وهناك غاية اخرى ترجع الى الطب وعلم النفس تتلخص فى ان زواج الاقارب او ذوى الدم الواحد يجعل الاولاد ضعاف الاجسام او على جانب من الشذوذ فى التكوين العقلى والخلقى وعرضة لامراض الوراثة بكل سهولة

العمدة — ارجو ان تأذنوا لى بالانصراف فانى على موعد مع احد الاصدقاء وكان بودى ألا احرم من جدلكم العلمى المفيد لولا هذا الموعد

المهندس — وانا ايضا على موعد مع زميل لى وكنت اتمنى ان يتم الزواج لولا هذا المانع الشرعى

المدرس — كثيرا ما تكون المصاهرة ، سببا للمنازعة ، فاحمد الله على انه ادام صداقتنا ، وجرّدها من كل شائبة وجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وجعل من امين اخا لاحسان وهى كما تعلم لا اخ لها ولا اخت

***

لم يكن العمدة على موعد مع احد اصدقائه كما ادعى انما ذهب رأسا الى المنزل ، وكان ولده امين واقفا على بعد بضع خطوات من الباب ، ينتظر البشرى بالقبول ، وبينما هو غارق فى تأملاته لمح اباه يسير الهوينا وقد اقترب

من المنزل تبدو على وجهه علامات الارتباك والتفكير ، فارتاب امين لساعته في النتيجة ، واعتقد ان والدها رفض يده ، وارتاع عند ما تصور انهيار آماله

وكان العمدة على شيء من الفطنة فما ان رأى ولده في انتظاره حتى ادرك حقيقة الموقف ، فتصنع الابتسام ، واستقبله بالبشاشة وقال له أبشر فقد بلغت عند والدها منزلة سوف يحسدك عليها الناس

ولما اخذا مكانهما في غرفة الجلوس انصتت اليهما امّ امين ، واستعمل العمدة كل ما اوتي من ذكاء ودهاء ، واستخدم طريقة اللف والدوران ، حتى انتهى بهما الى الحقيقة فأنكرت الزوجة تبادل الرضعات ، وثار الولد ضد هذه الظروف القاسية ، التي حرمته من حبيبته ، بعد ان تعاهدا على الزواج ، وبعد ان رضي والدها به زوجا لاحسان

والتقى الحبيبان ، فكان لقاء محزنا تجلت فيه لوعة العاشقين وعاودت الثورة امينا ، فلعن الساعة التي تبادلا فيها الرضاعة . فخفت عنه احسان واعادت على سمعه ما دار بين الابوين ، وكان بودها ان تحرق الكراسة وفي النهاية انضمت الى رأي والدها في أن يكونا أخوين خير من ان يكونا زوجين ، يفرق بينهما اختلاف الرأي اذا ما واجها المصالح العائلية فيتلاشى الحب ويصبحا خصمين ، ثم افترقا على ان يكونا اخوين مخلصين ، يعتمد كل منهما على الاخر ، في الشدة والرخاء ، والسراء الضراء

***

احتجبت احسان عن انظار محبيها بعد هذه المقابلة باسبوع ، ولم تبرح الدار الا قليلا ذلك لان عمتها « ابنة عم والدها » اصيبت بمرض عضال فقدمت من البلدة للاستشفاء وذلك لقلة الاطباء الماهرين فى بلاد الريف ، وبعد ضيعتها عن المستشفيات والصيدليات ، ولانقطاعها عن الاهل والاولاد ، ولان وكلاء الاعمال فى مثل هذه الاحوال ، لايصلحون على الاطلاق خصوصا والسيدة متوسطة السن متوفرة المال ، فكان اولى الناس بالعناية بها واحقهم فى القيام على خدمتها ، هما المدرس وابنته ، ولهذا كانا يتناوبان السهر عليها ، ولا يدّخران وسعا فى تمريضها ، ولهذا أيضا اسدلت احسان نقابا خفيفا شفافا على قلبها المملوء بالحب ، يعيد اليها الذكريات الحلوة كلما اطلت من ثقوبه

وطال تردد الاطباء واكتظت المنضدة بزجاجات الدواء ، ولكن ماذا تفيد مهارة الاطباء ، او كثرة الدواء ، اذا انعدم الرجاء ، وانقطع حبل الحياة ، الا ان يكون ذلك تسكينا للآلام المريض ، وتخفيفا لعذابه ، حتى يجف زيت مصباحه وينطفىء نور حياته

وكان هذا مصير عمة احسان فقد اخذت قواها تنحط يوما بعد يوم وتخطو نحو الموت خطى سريعة ومازالت كذلك حتى لقيت ربها صابرة شاكرة

***

ظهرت احسان فى ملابس الحداد ، ابهى واجمل مما كانت فى ملابسها الاخرى ، التى طالما قضت الوقت فى اختيارها والعناية بها وتنميقها

ويظهر ان البساطة فى الملبس ، والبعد عن الاسراف فى الزينة ، والقرب الى

الطبيعة ، يظهر الحسناء فى ابهى مظهر ويجلو محاسنها تماما ، ويملأ عين الناظر من ملاحتها ، دون الاشتغال بمحاسن ملابسها ، وفوق ذلك فالملابس السوداء أوالزرقاء ، التى اعتاد الناس استخدامها ايام حزنهم تكسب لابسها هيبة ووقارا ، يقرن الجمال بالكمال ، ويرغم النفس على الخشوع والخضوع

والظاهر أن الايام التى قضتها فى السهر تمرّض عمتها ، واللحظة الرهيبة التى رأتها تفارق فيها الحياة حتى اصبحت جثة هامدة ، تركت فى نفس الفتاة على حداثة سنها اثر الرهبة وركزت فى قلبها عقدة الحزن والاسى ، اضف الى ذلك ان هذه الصدمة ذهبت بها الى الذكريات البعيدة الخاصة بوفاة والدتها فازدادت لواعجها ، وكثرت آلامها ، وانطبعت على اسارير وجهها صورة الكآبة ، فكنت تقرأ فى عينيها ، كما تلحظ من ملابسها حالتها النفسية

***

رفعت كل هذه العوامل من شأن احسان فى نظر محبيها فجددوا منافستهم ، واستأنفوا سعيهم ، وسارعوا اليها لتفريج كربتها ، وأخذ كل يبذل قصارى جهده لاكتساب رضائها عنه

وكانت الفتاة بعد ظهور حقيقة امين وفشلها فى نتيجة الحب المتبادل بينهما اكثر ميلا الى عبد الصبور فلم يجد منها ذلك الصدود الذى كانت تقابله به من قبل ، فقد بدأت تفسح له مجالا مع شىء من الاحتياط

اما امين فقد هبطت درجة الشغف به ، وخفت وطأة حبها من ناحيته

وأما الموظف فأوشك ان ييأس منها ، خصوصا وهو شاب لا يبغى سوى الزواج ، ومثل هذه المناورات الغرامية لا تروق فى عينه ، ولهذا أصبح كثير التراجع ، قليل الاهتمام . بيد أنه لم يقطع الامل فى الوصول الى الغاية ، وما زال قلبه ينبض بحبها ، وأنّى لقلب ملكه الحب ان ينسى ، وانى له ان يعتقد الفشل

ولما كانت احسان تلهو بالمحبين ، وتحبث فى حبها ، فانها كانت ترى فى هذا الموظف اداة للتسلية كلما عنّ لها ذلك ، فيعتقد المسكين انها صرخة جوى ملكت لبها ، او نفحة حب ألانت قلبها

وكان المدرس شديد اليقظة فلم يفته امر هؤلاء الشبان ، فانحى عليها باللائمة ، وهددها بأسوأ النتائج ان علم عنها سوءاً ، او رأى منها اعوجاجا

وحدث ان حضر المهندس طرفا من هذه النصائح ، فاشترك مع والدها فى تحذيرها ، فالتمست المعاذير ، وبرأت نفسها مما لصق بها بقدر ما سمحت به حجتها

ولما اختلا الصديقان ، أوصى المدرس صديقه المهندس خيرا بابنته ، ورجاه أن يشترك معه فى مراقبتها ويتعهدها بالنصح كلما وجد الى ذلك سبيلا

***

تركت ابنة عم المدرس ضيعة صغيرة ، ودارا بالقرب منها فسيحة الارجاء ، بسيطة الاثاث . فاصابه نصف ما خلفت ، حيث أوقفت النصف الثانى على مسجد البلدة ، والخوص والريحان ، وقراءة القرآن

لم يكترث المدرس بهذه الثروة البسيطة التى لم تتجاوز العشرين فدانا فلم يقم بادارتها بل وكل امرها الى عمدة البلدة لما بينهما من صداقة قديمة وبالتالى لم تكن احسان فى حاجة الى شىء منها فهى كذلك لا تحفل بهذا الارث ، ولو أنها كانت طامحة الى المجد والغنى ، لتتساوى فى الجاه والمكانة مع المترامين على اقدامها

***

ومضى عام على وفاة المورثة فاحيا المدرس ليلة الذكرى وكانت قاصرة على نفر قليل من اهل المنطقة وزملائه المدرسين

وبعد أيام من ليلة الذكرى ، بينما كانت احسان تفكر فى الحيلة التى تتملل بها ليسمح لها والدها بالخروج عند عودته عصرا ، ولم يبق الا دقائق على الموعد الذى اعتاد المجىء فيه ، وبينما هى غارقة فى احلامها اللذيذة التى ترجو تحقيقها بملاقاة عبد الصبور ، وبينما هى لا تحوّل نظرها عن الساعة وقد فات موعد والدها بنحو الساعة ، اذا بنبأ سىء يحمله اليها احد الاشخاص ، خلاصته ان سيارة ضخمة كانت تنهب الأرض نهبا ، داست والدها فنقل وهو فى النزع الاخير الى المستشفى لعل فى وسع الاطباء ما يوصل الى النجاة

صعقت الفتاة لهذه الكارثة ، فصرخت صرخات دوت فى ارجاء المنزل ، ثم اغمى عليها

وكان المهندس اول من وصل الى سمعه هذه الصرخات فقد عرف صوت احسان ، فهرع اليها ، ولما علم بالحادث بلغ منه الحزن أعظم مبلغ

واسرع نحو المستشفى فوجد صديقه الحميم قد فارق الحياة فبكاه أشد البكاء وعاد وقد أخذ يعدّ المعدات لتشييع جنازته

اما احسان فلما افاقت من غشيتها وعرفت مصير والدها مزقت ثيابها ، ولطمت خدودها ، وعفرت وجهها بالتراب ، وقضت الليل فى نواح وعويل وما زالت كذلك حتى ثوى والدها مقره الاخير ، وانتقلت زوجة المهندس الى دار احسان ولازمتها حتى تمت ايام العزاء الثلاثة

وفى صبيحة اليوم الرابع ألحف عليها المهندس فى الانتقال معه الى داره وساعدته فى ذلك زوجه وبعض الجيران فى هذا الطلب فصدعت بالامر خصوصا وقد كرهت البقاء فى منزل كان يضم بين ارجائه ابا كان قبلة آمالها ، وكعبة سعادتها ، وكانت فوق ذلك تشعر بخوف داخلى يدفعها إلى الفرار منه

***

احست الفتاة بعد هذه الكارثة أنها منقطعة فى هذا الوجود ، لاتملك الا احزانها ، ولاترى الا مصائبها ، ولا تشعر الا بوحدتها ، رغم ما يحيطها من شفقة المهندس وزوجه ، وحنان العمدة وابنه امين وعطف عبد الصبور وصديقها الموظف ممدوح

ولاحظ المهندس ان الحزن يوشك ان يطفىء روح نشاطها ، ويذهب بزهرة شبابها ، ففكر فى ان يسرع بزواجها

وكان يعلم ما بينها وبين عبد الصبور من حب متبادل فوطد العزم على تنفيذ فكرته

وكان (عبد الصبور) كثيرا ما يطوف بالمنزل رجاء مشاهدتها خلسة من النافذة بعد ان انقطعت عن الخروج ، فما كان من المهندس الا ان ترصّد له ولما شاهده دعاه الى المنزل وفاتحه فى الامر

وكأنما كان الفتى لايبغى من الدنيا الا هذه الامنية فانكب يقبل يد المهندس الذى ابتسم ابتسامة الرضا والفوز

وقام مسرعا الى غرفة احسان ودعاها الى مقابلة صديق لها قدم ليحدثها فى امر خاص وعاد الى مكانه ثانية

وبعد برهة اقبلت تمشى على استحياء فلما وقع بصرها على عبد الصبور تراجعت وهمت بالخروج الا ان المهندس اسرع اليها وجذبها برفق داخل الغرفة واجلسها بجانبه

وقال والعبرات تخنقه لقد رأيت والدك رحمه الله رحمة واسعة منذ ليلتين يضع يده فوق ايديكما ويقرأ الفاتحة ثم رفعها وجاء بمنديل من الحرير فربط ايديكما ربطا محكما وقدم لى شمعة وامرنى بايقادها بعد مبارحته فصحوت قبل ان اوقدها وقد وضعت فى عزمى ان احقق امنية المرحوم والدك ، وها قد اقبل عبد الصبور يطلب يدك فلا اظنك ترفضيها فتسيئين الى والدك وهو فى مقره الاخير ، لاتفكر روحه الطاهرة الا فى سعادتك

فبكت الفتاة وسحت الدموع فانتهز المهندس فرصة حنانها لذكرى والدها وجذب يدها ووضعها فى يد عبد الصبور وقال فلنقرأ الفاتحة معا على ان يكون الزواج بعد ليلة الاربعين

وحاولت الفتاة سحب يدها فلم تقو على ذلك ولم يسمع المهندس

صوت قراءتها فاستعاد تلاوتها فكان صوتها لايكاد يسمع

واشار المهندس الى عبد الصبور بالانصراف خشية عدولها فاستأذن شاكرا ممتنا

***

صار عبد الصبور يتردد بعد هذه الجلسة التاريخية على بيت المهندس وهو فى كل زورة يحمل من الهدايا لخطيبته ما خف حمله وغلا ثمنه

والحّ على المهندس فى تعجيل يوم الزواج فوافقه على ذلك واتفقا على يوم معين

وبينما هما جالسين ذات صباح يتشاوران فى انتقاء زمرة من الاصدقاء لدعوتهم الى حضور حفلة الزواج ، وكانت احسان قد خرجت مع زوجة المهندس لشراء بعض الملابس اللازمة ليوم الزفاف ، اذ اقبل الخادم ينبيء بقدوم امرأة عجوز تطلب مقابلة احسان فأذن لها بالدخول . فاقبلت تبدو فى سن الستين قد تقوس ظهرها ، وضعف بصرها ، وذهبت نضرتها فلما جلست سألت فى صوت منخفض متهدج عن احسان فاستفسر منها عما تريد قضاءه من احسان لعله يستطيع ان يقوم ببعضه نيابة عنها حتى تعود ، فقالت العجوز ان احسانا ابنتى وقد فارقتها منذ زمن بعيد لخطأ ارتكبته مع زوجى المدرس ، وقد كنت اظن ان اطلاق الحبل على الغارب للاهواء النفسية ، والنزوع الى الخيالات ، هو السعادة المنشودة ، فاذا كل ذلك سراب خادع خلاب ، فقد جنيت على نفسى بيدى ، وقضيت على النظام العائلى ، وخنت رجلا خفر

زلتى ، ونسى عارى ، وظلل ابنتى برعايته ، وجنيت على طفلة بريئة كنت السبب فى شقائها بعد ان ضاعت آمالى هباء ، ولقد ايقنت تماما ، انه ليس فى قدرة العصافير ، ان تطير بأجنحة النسور

فقال المهندس وقد اخذته الدهشة ، ماذا تقولين ؟ أأنت ام احسان ؟ نعلك واهمة

— نعم ، هى ابنتى

عبد الصبور — ولكنها كثيراً ماقالت ان امها فارقت الحياة

المهندس — وكذلك كان يقول والدها

العجوز — لقد اصابا كبد الحقيقة ، فقد مت الموتة الادبية ، فرأى المسكين صوابا ، ان يخفى فضيحتى عن ابنتى ، ونعم ما فعل

واخذت تسرد قصتها تفصيلا منذ كانت فتاة تخدم فى منزل الباشا ، حتى اغواها ، وقد طمعت فى مجده ، وكيف قبل المدرس ان يستر عارها وعار صديقه الباشا ، وكيف تنحى الباشا عن معاونة ابنته بالمال

هال الفتى ماسمع ، وضاق صدره به ، ومرت بمخيلته افكار سوداء لوّحت بها امام عينيه يد الارستقراطية الجبارة ، فراح يتهم والده بخيانة الزوجية ، والجناية على الانسانية ، ويعجب كيف قبلت نفسه النزول الى حضيض الصغار والهوان ، متخذاً من خادمته خليلة له ، وكيف انتهى هذا السفاح بجريمة شنعاء على فتاة لم تقترف ذنبا فى هذه الحياة الدنيا ، فكان لها ان تقاسمه الميراث ، وتشاطره اللقب والجاه ، لو لم يقف الشرف الموهوم حائلا دون اعلان حقيقة امرها

وبينما كان الشـاب غارقا فى بحار الآمـه ، اذا بالمهندس يحلل تلك الشخصية البارزة التى تبطن من الخسـة والدناءة خلاف ما تظهر من دفاع زائف عن الشرف ، وغيرة مكذوبة على الفضيلة ومكارم الاخلاق

واوشكت العجوز الفراغ من احتساء فنجان من القهوة قدمه الخادم اليها فوثب الشـاب نحوها وقد خامـره الشـك فيما روت ، فزوّدته بالحقائق الناصعة والبراهين الدامغة

فعاد الى خياله الاسـود ، وراح يتهم والده بشتى الاتهامات دون ان يجد سـبيلا الى تبرئته ، وطوحت به الافكار الى تلك الهوة السـحيقه التى فرقت بينه وبين خطيبته ، بل حبيبته

وفطن المهندس الى ما ينجم عن مقابلة احسان لأمها ، على هذا النحو المفاجىء من صدمات قوية لعواطفها وما تتعرض له اعصـابها من خطر ، فهرول نحو الباب ، ونبه على الخدم بالصمت ووقف ينتظر أوبتها مع زوجه

وما هى الا دقائق حتى اقبلتا وقد امتلات السيارة بكثير من الحاجيات

وبعد ان استراحت الفتاة قليلا اخذ يتدرج معها من حديث الى اخر وأخيرا حام حول الموضوع وظلّ يحاورها حتى افضى اليها بحقيقة الخبر

***

لاتسل عن تلك اللحظة الرهيبة ، التى وقع فيها نظر الأم على ابنتها بعد هذه الغيبة الطويلة ، فلما التقى البصران ، واجتمع الشـملان ، فاضت العيون بالدموع ، واهتزت الجوانح بين الضلوع ، وامتلأت القلوب بالخشوع

وتجلى الحنان والاشفاق فى أروع صورة ، وأصدق آية

وكانت احاديث وقصص ، وذكريات حلوة ومرة ، عرفت الفتاة منها بعض الشىء عن سيرة والدتها ، ووقفت العجوز على قصة ابنتها ، فرأت تكفيرا عما فرط منها نحوها من هجر لامبرر له ، ان تتنازل لها حالا عن كل ما تملك من مال وعقار ، ولما علمت انها كانت ستزف فى القريب العاجل الى ابن الباشا ، حمدت الله على قدومها قبل وقوع هذا المحظور

***

لم يكن فرح الفتاة بلقاء والدتها شيئا مذكوراً بجانب ما اصابها من حزن من جراء هذه الصدمة العنيفة التى حطمت قلبها للمرة الثانية ، وقضت قضاء مبرما على فراقها من عبد الصبور

وكانت كلما تصورت قصة نخوتها لحبيبها انتفضت جزعا وتملكها اليأس ، وصغرت نفسها فى عينها ، وخجلت ان تكون اخته من طريق يرفض معه نسبتها اليه ، ولا يستطيع أعلان حقيقتها على الملأ

وفى المساء ، نامت العجوز فى المكان الذى اعدّ لها ، وأرخى الليل سدوله على سكان المنزل ، غير أن عيونهم لم تذق النوم من أثر هذه المفاجأة المدهشة ، وبات كل يفكر فيما يتبعها من تطورات وظروف

اما الفتى فقضى ليله فى عذاب اليم ، وأخيرا اوحى اليه سلطان الحب ان يرحب بها اختا له يقاسمها السراء والضراء ، لانها لم تقترف ذنبا ، ولأن والدها أساء الى مركزها فى الهيئة الاجتماعية

اما الفتاة فبعد ان قلبت المسألة على جميع وجوهها ، لم ترفيها ناحية تسر الفؤاد ، وقضت الليل منقبضة القلب ، ضيقة الصدر واخيرا عقدت النية على الانتحار . تخلصا من هذا العار

وما ان بزغت الشمس حتى أسرع عبد الصبور نحو غرفة اخته ليبشرها بعزمه على تنازله لها عن حصتها فى ميراث ابيه كما لو كانت اخته الشرعية

الا أنه سرعان ما قرأ فى عينيها ما تقاسيه من ألم ، فعزّاها فى هذه الحقيقة المرة ، وأقبل عليها يحلو حديثه يعتذر لها عن خطأ الظروف القاسية وبالحرى عن غلطة ابيها وابيه ، وما زال بها حتى سرى عنها ، وافهمها ان فرحه بها كأخت ، يفوق فرحه بها كحبيبة او زوجة ، ثم طبع على جبينها فى ختام هذه الجلسة قبلة الاخوة الصادقة

وجلس المهندس فى غرفة مكتبه بعد صلاة الصبح ينتظر ما تجرى به المقادير بعد ما كان من رواية امس ، فاقبل عليه عبد الصبور . وبعد تحية الصباح تحدثا فى الامر ، واستقر رأيهما على ضرورة الاسراع فى تزويج احسان ، تخفيفا لآلامها ، وأنهاء لمتاعبها

وفى الحال مرت بذهن اخيها صورة الموظف ممدوح ، فرأى ان حبه لها كفيل بتحقيق سعادتها فى الحياة ، ورأى انه بهذا يستطيع التأثير عليه بسهولة فيحمله على القبول دون ابطاء ، فعرض الفكرة على المهندس فوافق عليها

وفى الحال أرسل كتابا مع خادمه الى ممدوح يرجوه فيه انتظاره فى المساء لأمر هام

وفى المساء ، قبيل مغيب الشمس ، ركب عبد الصبور سيارته قاصدا منزل ممدوح لتنفيذ الخطة ، وفيما هو فى طريقه اليه فكر ان يأخذه بحيلة قوية يوقظ بها حبه القديم ، من سباته العميق

وما هى الا دقائق حتى كان امام داره فارسل اليه بطاقة ، فخف ممدوح لاستقباله ، وقد بدت على وجهه علائم الدهشة والارتباك

وبعد تحية فاترة قابل بها الموظف ضيفه ، دار بينهما حديث خطير بدأه عبد الصبور قائلا

— ان احسانا فى شدة المرض وربما كانت مشرفة على الموت

— وا أسفا على جمالها وشبابها

— وهل كنت تحبها

— لم يكن هناك مجال للتمادى فى ذلك

— اعتقد انها شغلت جانبا من وقتك ، واحتلت مكانا فى قلبك

— ربما حدث شىء من ذلك ، فلكل وقت حوادثه الخاصة به

— لقد طلبت احسان على هذ الاعتبار ان تودع أحباءها قبل رحيلها فهل تحب ان تودعها

— لا اظنى أقوى على ذلك

— ان من المروءة ان نخفف عليها هذه المرحلة الاخيرة

— قد تهون هذه المرحلة على الشيوخ وهم بين احبابهم ولكنها تصعب على الشبان وهم ما يزالون فى مقتبل العمر وفسحة الامل فمثل هذا الوداع يثير لديهم الاشجان ويزيد الآلام والاحزان

— هذه فلسفة المحبين المخلصين فهلا تزال فى قلبك بقية من حبها

— ولم لا

— أذن هيا بنا

— ولكنها لاتعرف أمر حبى

— هذه إرادتها

— عجيب أمرها ، وما فائدة كل ذلك وقد قطعت علاقتى بها منذ عدة شهور ، وفوق هذا فقد علمت انك تزوجتها

— بكل أسف

— ماذا ؟

— لقد اصبح نصيبى منها كنصيب امين

— هل ظهر ايضا انها اختك فى الرضاعة

— نعم

— هذا غريب

— اسمع يامدوح ، ان الصدمات المتتالية على قلب احسان جعلتها فى حالة يخشى معها ان تؤثر فى صحتها ، ولا دواء لها الا ان تكون فى كنف رجل ينبض قلبه بحبها فيستطيع أن يخلع عليها من حنانه رداء السعادة التامة .

ولما لم يبق فى الميدان الا أنت أهل لها ، ولما كانت قد ذكرتك فى أحلامها . جئت أعلمك بهذا ، بل وأدعوك الى الزواج منها بصفتى أخوها ، ولا تظنن انى اغرر بك .

ويسرني أن أزيدك بيانا أنك كنت تحبها لكمالها وجمالها ، اما الآن فقد اكتملت محاسنها فقد شاركتني في ميراثي

— ليس المال الا عرضا ، وكل عرض زائل ، وما هو الا شيء من اشياء ، اما الحب ، فهو وحده كل شيء

— اذن لك ان تفكر في الامر ، ومتى شئت فعلى العين والرأس ، وأستطيع ان اطمئنك على صحتها فانها جيدة بحمد الله ، انما أردت ان أسبر بذلك غور حبك لها

لم يكن يتوقع الموظف ان تنعكس الآية لمصلحته على هذا النحو ، ومانعته عزة النفس عن الموافقة على زواج جاء عن طريق التنازل للظروف القهرية ، ولكن ريح الصبا هبت على شجرة الحب فحركت أغصانها فتنازل عن كبريائه وقطع في الامر بكل سرعة خشية مزاحم جديد يطمع في مالها

وفي مساء اليوم الثاني تمت الخطبة وبعد ذلك باسبوع اقيمت حفلة بهيجة اقتصرت على آل العروسين وأخلص الاصدقاء جمعت كل مظاهر السرور احتفاء بهذا القران السعيد

وبينما كان المدعوون في مسرحهم ومسرهم جلس المهندس والعريس وعبد الصبور يتسامرون ويتذاكرون قصة احسان وتلك الصدف والمفاجآت التي احاطت بها ، إذ وقف المهندس وقد انتصف الليل ، يهنيء العريس بعروسه ويدعوه الى افتتاح حياته الجديدة ، وبعد ان صافحه صافح عبد الصبور يهنئه بشجاعته الادبية فقال الفتى هذا أقلّ ما يجب عمله ، فاجاب المهندس الحمد لله على ما وفقك اليه ، فقد اصلح الابناء غلطة الاباء

الثائرة

الاهداء

الى المجاهدين الابطال

الى شهداء المبدأ

الى ضحايا الحرية

الى اولئك الذين سقوا بدمائهم شجرة الحرية وباعوا ارواحهم فى سبيل المبدأ

obeikandi.com

— خير لك أن تقلع عن حبها
— وأى شىء اخشاه مادامت تبادلنى هذا الحب
— أن اهلها ينكرون عليكما ذلك
— وماذا يهمنا من أمرهم
— انهم عرب جبابرة
— ان حماة العدل أشد منهم بطشا
— انهم لايعبأون بما يصيبهم من ضر فى سبيل المحافظة على تقاليدهم
— اذن تكون المصيبة قسمة بيننا وبينهم
— فى وسعك ان تختار اخرى لاتحوطها المشاكل
— ولكن قلبى لايتسع لحب غيرها
— لاتنس انها عربية وانت فلاح ويقضى العرف عند العرب الاّ تقع المصاهرة بين العنصرين
— وهل يزيد العربى عن الفلاح عينا او رجلا او اصبعا حتى يكون للتفاضل فى نظرهم سبيل
— هى التقاليد ، واجبة الاحترام
— وما هى التقاليد
— هى والدين سواء ، فى الحرمة والرعاية والتقديس
— اليست التقاليد امورا اصطلح القوم عليها قد تأخذ لونا خاصا ، وشكلا معينا عند فريق بينما تكون ذات لون مغاير عند فريق آخر
— ان الخضوع لهذه القوانين أمر مقدس لا يتسع لفلسفة او تفكير

— لاشك انه يتنافى مع ابسط قواعد الحرية

— افلا يكون عملك على حد تعبيرك ، انتهاكاً لحرية المعتقدات ـ معتقدات بعض قبائل العرب

— ليس فى هذا أدنى مساس بهم مادامت ابنتهم تريد التخلص من هذه القيود التى تطغى على حريتها الشخصية

— انها شريكة لك فى الخروج على العادات وانتهاك حرمة التقاليد ، وكل ما اخشاه عليك هو انتقامهم منك مهما طال الزمن

— ان اهلها ليسوا اقوياء بالحد المخيف المحتاج الى اتخاذ التدابير ، ومع كل فان لهم هذا الحق اذا كان مابيننا هو عبث الشباب ، لكنه وأيم الحق ، حب صادق ظاهر سيجعله الزواج قائماً ما شاء الله

— لكنك لم تأت البيوت من ابوابها . وانما سقت لك هذا القول لألفت نظرك الى طبيعة القوم ، ولا يغرنك ضعفهم فقد يبلغ المنتقم بالحيلة ما لا يبلغه بالقوة ، فكن على حذر

— كن مطمئنا وأشكر لك هذا النصح

اما هذه الفتاة العربية التى دار الحديث بين حبيبها وصديقه بشأنها فتتلخص قصتها فى انها نشأت يتيمة مات ابواها وهى فى مهد الطفولة فكفلتها جدتها ورعاها عمها فكانت بينهما زهرة يانعة لا راحة لهما الا بتعهدها بكل ما يملأ قلبها بالسعادة

وكانت «امينة» كلما تمت جسمها ، حسن شكلها ، واعتدل قوامها ، واستدار وجهها ، وأخذت تعيد الى ذاكرة جدتها ذكريات « ابنتها » وكلما وقع

بصر عمها عليها يرجع بفكره الى الماضى البعيد الذى فرق بينه وبين اخيه. وعلى هذا كانت « امينة » مجمع التذكارات ، ومركز التأملات ، بل ورمز سعادتها ، وكعبة آمالها

ترعرعت امينة بين حب جدتها ، وعطف عمها ، فشبت ـ على ما عوداها عليه ـ فتاة عربية طاهرة القلب ، ذكية اللب ، جريئة صريحة

وقد حببت هذه الصفات فيها أبناء قبيلتها من عرب الشرفاء بمركز الصف فأخذوا يتهافتون عليها ويتزاحمون على خطبتها ، كيف لا وقد وهبها الله وجها صبوحا وقواما مليحا وعقلا رجيحا

لم ير عمها بدا من تزويجها فرفها الى أحد ابناء القبيلة واقيمت لذلك الافراح ، فعاشت فى كنف الزوج ثمانية اشهر بلياليها كانت لديها اطول من ثمانية اجيال ، ذلك لانها لم تجد فى هذا الزواج سعادة كما كانت ترجو ، بل قضت ساعات هذه الاشهر فى تنغيص مستمر ونكد دائم

وكأنما شعر زوجها بأن هذه الحياة التى لايربطها الحب برباطه لاتثمر الا الهم والفشل والضيق والكدر ، مثلها فى ذلك كمثل اثنين جمع بينهما السجن على غير رغبتهما ، ولهذا أسرع الزوج فى فكّ ذلك القيد وطلقها طلاقا بائنا

خرجت امينة من ظلمات هذا السجن الى نور الحرية اذ رجعت الى بيت اهلها واضطرت ان تخدم فيه مقابل قوتها فألقى عبء المنزل على كاهلها ومع هذا فقد كانت فرحة مسرورة بحريتها

ولعب الحب بقلبها فظل به حتى انفتح على مصراعيه وسكنه فى

من فتيان الريف يدعى « محمد فهمى » بادلها الهوى فباتا مقيمين على الحب متعاهدين على الزواج

ونمّ حبها عليها فاشتم عمها رائحته فأخذ يعنفها ويقسو فى معاملتها ، مذكراً اياها بعوائد العرب المقدسة التى تحرم على الفتاة ان تتزوج من فلاح ، كما تحرم على الولد ان يتزوج من فتاة فلاحة

سمعت أمينة قول عمها ولكنه لم يصل الى قلبها وذهب مع الريح دون أن يترك أثره ، بل أصرت على رأيها وظلت مقيمة على حبها بارة بقسمها ، على الرغم من تذكير عمها لها بالعوائد والتقاليد وتحذيرها من مس شرف العائلة بمخالفتها . وقد عرض عليها تفاديا لذلك قائمة باسماء الراغبين فى زواجها من أبناء القبيلة فلم يرق فى نظرها واحد منهم على الاطلاق

***

وهربت الفتاة من المنزل فجأة للاقاة حبيبها وفاء لموعد سابق بينهما ، فلما وقع بصره عليها ابتدرها بالتحية ودار بينهما حديث طويل بدأه بقوله

— هل صحيح — يا حياتى — انهم واقفون لك بالمرصاد ، يتحينون الفرصة للانتقام منك لو ظللت على عهد الوفاء لى

— لا شك فى ذلك ، ولكنهم لن ينالوا منى مأربا . وأرانى قادرة على كسب رضائهم ولعلى اوفق الى ذلك قريبا باجتذابى عطف جدتى التى سوف تحملهم على الرضاء

— اخالك واهمة ، فربما كان ظاهرهم يخفى وراءه خدعة متينة السبك ، وفخا محبوك الشراك تحيط به خيوطك من كل جانب فاذا ما وقعت الفريسة ، واتيحت الفرصة ، كان الانتقام والبطش

قد يكون ذلك ، ولكن اين نحن منهم ، ألسنا بعيدين عن عيون الاصدقاء ، لا تقع علينا الا عين الطبيعة ، ولا ترفرف فوقنا الا اجنحة الحب ، وتظلنا شجرة السعادة ذات الظل الوارف

ما أحلى هذه الساعات لولا ما يزعجنى من شبح هذه المخاوف

ألم نتفق على الهرب ، الم تأخذ على عاتقك تمهيد سبيله

هذا صحيح ، وربما نفذنا ذلك بعد اسبوع

اذن فكل مخاوفك هواجس ، واصرف عنك الوهم ، ودعنا نستقبل ريح الصبا ، بروح السلام ، ونحيي رسول الحب ، باناشيد الغرام ، ونلبى معا نداء القلوب

ما أبهج هذا الحديث الى نفسى ، وما افعله فى حسى ، وانى على احر من الجمر في انتظار تلك الساعة التى يتم فيها عقد قراننا

قرب الله البعيد ، وحقق الامال ، وستكون بلا شك اسعد الساعات

* * *

وبينما كان الحبيبان يتبادلان أشهى احاديث الغرام ، اذا باهلها يعقدون مجلسا عائليا لمحاكمتها فكان قرارهم بالاجماع أن الموت اقل جزاء لهذه الشريرة الثائرة التى خرجت عن الطوق ، واهانت حرمة التقاليد

وبعد ان رسموا خطة التنفيذ ، ودبروا طريقة النجاة ، رأوا من الحكمة ان يأخذوها باللين ، ويتجاهلوا هروبها فى غسق الليل ، وتصنعوا جميعهم النوم وباتوا كأنهم من اهل الكهف

فما أقسى أحكام التقاليد اذا تحكمت فى العواطف على غير مبرر ، وما أظلم

حكم الذين يحافظون على العادات فيما اذا كان لا ضرر من مخالفتها .
لقد حكموا على امينة وهى أحب الناس اليهم ذلك الحكم القاسى بعد
ان وضعوا أصابعهم فى آذانهم حتى لا يسمعوا نداء عواطفهم ، وأغلقوا
قلوبهم حتى لا يتأثروا بداعى الرحمة والشفقة ، وضحوا بابنتهم ارضاء
لما طبعوا عليه من العوائد والتقاليد ، فما أظلمهم وما أقسى حكمهم

وبعد قليل عادت امينة تسير على اطراف أصابعها فوجدتهم فى سبات
عميق ففرحت بفوزها وارتمت على فراشها ، وما لبثت ان استسلمت لاحلامها
اللذيذة ونامت نوما هادئاً ، وقد جهلت ما خبأه لها القدر

وقبيل الفجر ايقظتها جدتها وحدثتها بكل لطف ودعتها لمساعدتها فى
اعمال المنزل فسارتا فى صمت رهيب

وما ان وصلت امينه الى المكان الذى عينته جدتها حتى وجدت
بالداخل عمها وابن خالتها اللذين احاطا بها فامسك الثانى بيديها بينما ضغط
الاول على عنقها ولم يرفع يديه عنها الا بعد ان تركها جثة هامدة

وهكذا راحت أمينة ضحية مخالفتها للقوانين والعادات ونفذّ أهلها
فيها عقوبة الاعدام ، فلما تم مرادهم ارتاحت ضمائرهم ولم يبق امامهم الا
مواراة هذه السوأة التى لو ظلت على قيد الحياة لاساءت سمعتهم وثلمت
شرفهم ، وللحال حفروا حفرة عميقه فى فناء المنزل على عمق ثلاثة امتار
ودفنوها فيها مشيعة بالاحتقار والازدراء ونفضوا ايديهم من التراب وقد
نفضوا عنهم غبار الجريمة

وبعد ثلاثة ايام من جريمتهم تركوا المنزل والبلدة الى مكان

بعيد ، فظن الناس أنهم فعلوا ذلك للحيلولة بين العاشقين

ولما طالت غيبتها على معارفها وبعض اقاربها من أعداء عمها ايقنوا ان فى الامر جناية فابلغوا خبر هذا الاختفاء الى الشرطة

كشف التحقيق عن ادوار هذه الجريمة ومكان الجثة حيث اعترفت جدة الفتاة بكل ما حدث فاعتقل الجانيان وقدما الى المحاكمة فقضت المحكمة بمعاقبة كل منهما بالاشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاما

شهدت الجدة بما حدث مفتخرة بحدوثه واعترف القاتلان بجريمتهما وهما يرفعان رأسيهما فخاراً وانتصاراً واستقبلا الحكم باسمين فرحين فسيقا الى السجن وقد استعذبا عذابه فى سبيل المبدأ ، كما ماتت امينة واهدرت دماؤها رخيصة فى سبيل حرية الرأى

وكانت قاعة الجلسة يومئذ مزدحمة بالنظارة فانقسموا بعد النطق بالحكم ، ففريق يرى ان دم الفتاة أهدر ظلما وعدوانا وفريق ثان يرى ان اهلها لم يقترفوا ما يوجب العقاب ، وطال الجدل بينهما بما كاد ان ينتهى بمعركة حامية ، وكل ينتصر لوجهة نظره لولا ان فرقهم حجاب المحكمة فانصرفوا على غير هدى وكل لايؤمن الا بما يعتقد

رغبة فى تشجيع المؤلفين ترحب المطبعة بقبول طبع الروايات التاريخية والعصريه والكتب العلمية المناسبة على نفقتها باتقان كامل

مطبعة

عبد الحليم حسنى

بشارع دسوقى غرة ٥ بدرب الجنينه بمصر

تليفون ٤٤٢٣٢

تأسست منذ اربعين سنة

شعارها : الاتقان . وضبط المواعيد . ومحسن المعاملة

وسرعة الانجاز مع النظافة

قسم الطباعة

تقوم بطبع الكتب والمجلات والجرائد والاعمال التجارية وغيرها

قسم الحفر

بها ورشة لحفر الاكليشيهات والصور فى منتهى النظافة

قسم التجليد

وبها ورشة كبيرة لتجليد الكتب وغيرها بانواع عديدة بغاية الاتقان

الصور والطبع بالالوان

وقد استحضرت ماكينات خاصة للطبع بمختلف الألوان

مخزن للورق

وبالمطبعة مخزن للورق بجميع انواعه

obeikandi.com

obeikandl.com